المدينة النبوية

دار الهجرة والإيمان

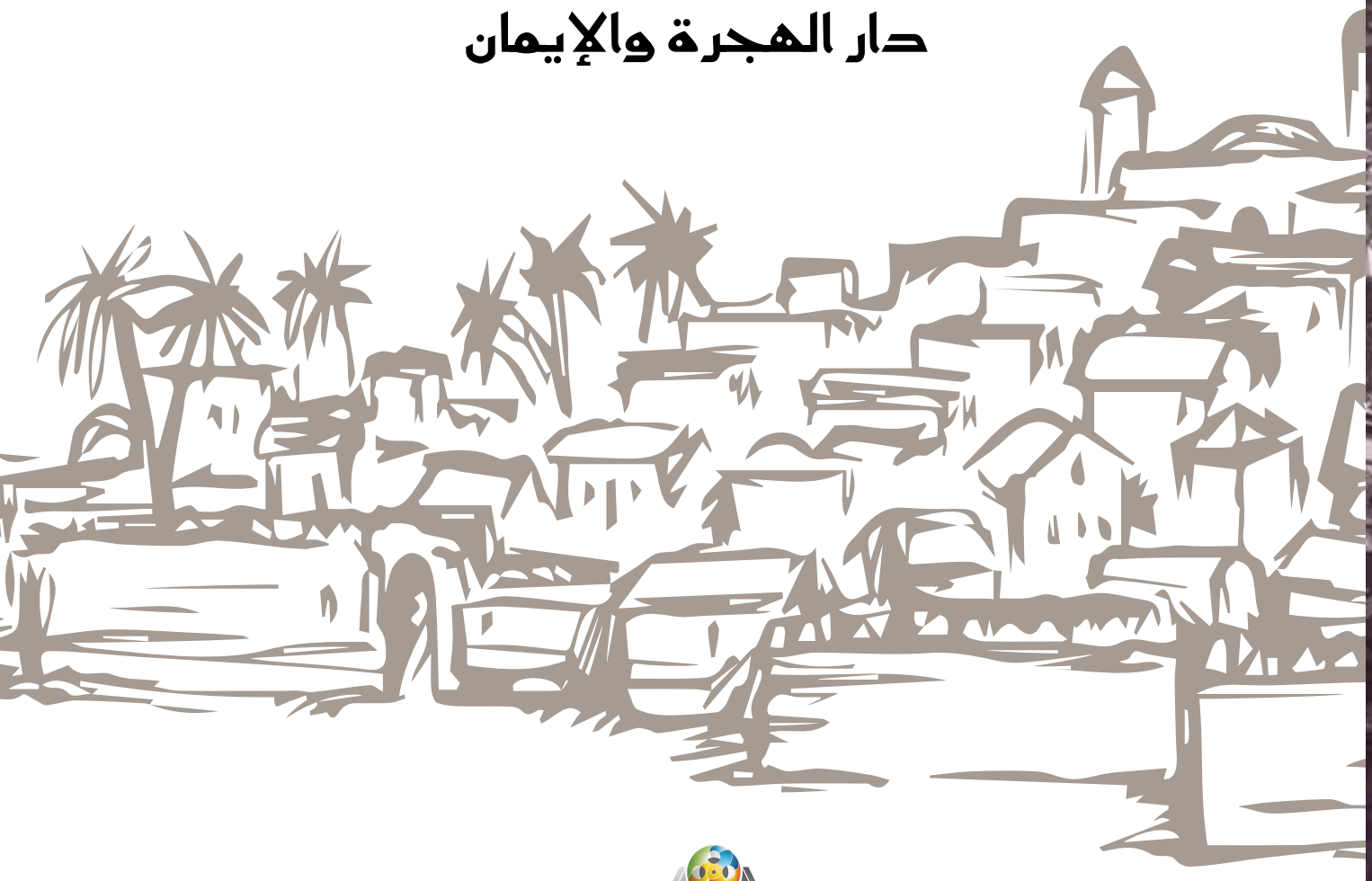

مركز أصول
OsoulCenter
www.osoulcenter.com

■ قام المركز بإعداد وتصميم هذا الإصدار.
■ يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
■ في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

www.osoulcenter.com +966 11 497 0126 +966 11 445 4900

لتنزيل الكتاب وغيره من الكتب بعدة لغات
OSOUL STORE
LiveChat

بسم الله الرحمن الرحيم

المدينة النبوية..
دار الهجرة والإيمان

الحمدُ للّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ الحديثَ عن المدينةِ النبويَّةِ حديثٌ لا يُمَل، فهيَ البلدُ الطيِّبُ، مُهاجَرُ النبيِّ الكريم ﷺ ومُستَقَرُّه، وهيَ مدينةُ الإسلامِ الأُولى، ومَأْرِزُ الإيمانِ عندَ وقوعِ الفِتَن.

على تُرابِها مَشَى رسولُنا ﷺ وصحبُه الكِرام؛ خَيرُ البَشَرِ إيمانًا وعَمَلًا، وأتمُّهُمُ اتِّباعًا للهُدى، وأقوَمُهُمْ بالحقِّ النازلِ منْ عندِ اللّه عز وجل.

جاءَ الإسلامُ وأهلُ المدينةِ أعداءٌ يتقاتلونَ، فألَّفَ اللّهُ بينَ قُلوبِهِمْ وهداهُمْ، وجَمعَ على الحقِّ كلمتَهُمْ خلفَ رسولِنا الأمين ﷺ.

وفي المدينةِ قَوِيَتْ دَعْوة الإسلام، وفيها أزهَرَتْ أيَّامُه، وتوطَّدَتْ أركانُه.

وهذا كتابٌ يطوف بكَ أرجاءَ المدينةِ النبويَّة، ويتنقَّل بكَ في مساجدِها ومعالمِها، ويجولُ معكَ في شوارعِها وأحيائِها، ويقلِّب معكَ صفحاتِ تاريخِها الزاخرةِ بالعِظات والعِبَر، ويُثير أشواقَك ويحرِّك عزمَك إلى زيارَتِها.

واللّهَ نسألُ أن يجعلَ هذا العمل نافعًا مباركًا، وأن يتقبَّل ممن أسهمَ فيه تأليفًا وتصحيحًا ومراجعةً وتصميمًا، والحمدُ للّهِ أوَّلًا وآخرًا.

المقدمة

بُعِث رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، ودعا قومه إلى الإسلام ممتثلًا أمر ربه؛ فكفر به أكثرهم، وما آمن به إلا قليل ممن اصطفاهم الله عز وجل ليكونوا صفوة هذه الأمة التي هي صفوة الأمم. وخلال ثلاث عشرة سنة من الدعوة في مكة المكرمة، ربَّى الله على يدي نبيه ﷺ الرعيل الأول من الصحابة؛ ذلك الجيل الفريد الذي قُدِّر له أن يغيِّر مجرى التاريخ، وأن يغيِّر وجه الأرض؛ بإخلاصه لله عز وجل، وباتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ.

وقد لقي النبي ﷺ من قومه خلال هذه المدة من الأذى والعنت ما لقيَ؛ حيث رموه بأبشع التهم، وسلطوا عليه سفهاءهم، وآذَوا أصحابه أشدَّ الأذى؛ فمنهم من نجا، ومنهم من قضى نحبه من شدِّة التعذيب، وبلغ بكفار قريش أن حصروه وأصحابه ومَن ناصره مِن قرابته في الشِّعب ثلاث سنين، ومنعوا عنهم الماء والطعام، ولو استطاعوا أن يمنعوا عنهم الهواء لفعلوا، وكان ﷺ في كل ذلك صابرًا محتسبًا موقنًا بنصر الله، ومشفقًا على قومه من عاقبة تكذيبهم وكفرهم.

فلما بلغ أذى قريش بالمؤمنين مبلغه، ولما تهيَّأ للنبي ﷺ أنصار في يثرب آمنوا به وعاهدوه على أن ينصروه وينصروا دعوته، أمر أصحابه بالهجرة إليها، ثمَّ هاجر مع صاحبه الصِّدِّيق أبي بكر ﷺ.

وبهجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب -التي ستصبح عما قريب "المدينة"- شَرُفت وعلَت رتبتُها، فهي مهاجَرُ رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وموطن إقامته؛ فيها بنى "قباء" أول مسجد في الإسلام، وفيها بنى مسجدَه الشريف؛ ثاني أشرف المساجد بعد بيت الله الحرام، وعلى أرضها الطاهرة نزلت جُلُّ أحكام الشريعة الإسلامية، فشرُفت بتطبيقها جملة وتفصيلًا في كل مجالات الحياة.

أنارَ الوحي أرجاء المدينة ما بقي من عمر النبي ﷺ، وشرُف أبناؤها -من المهاجرين والأنصار- بالتفقه بين جنباتها في مدرسة معلم البشرية الأول، ومنها خرجوا إلى أرجاء الجزيرة ثم أرجاء المعمورة دعاة وفاتحين، فكانوا بحقٍّ أئمة الدنيا والدين.

وما زالت المدينة على هذه الحال، إلى أن لحق نبينا صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى، فضم ثراها أطهر جسد سار على وجه الأرض، وإنه لشرف للمدينة وأي شرف!

المحتويات

10
العاصمة
الأولى

16
التاريخ
القديم

22
حال المدينة
وقت البعثة

34
المسجد
النبوي

48 معالم
المدينة المنورة

المدينة النبوية عبر
التاريخ الإسلامي

72

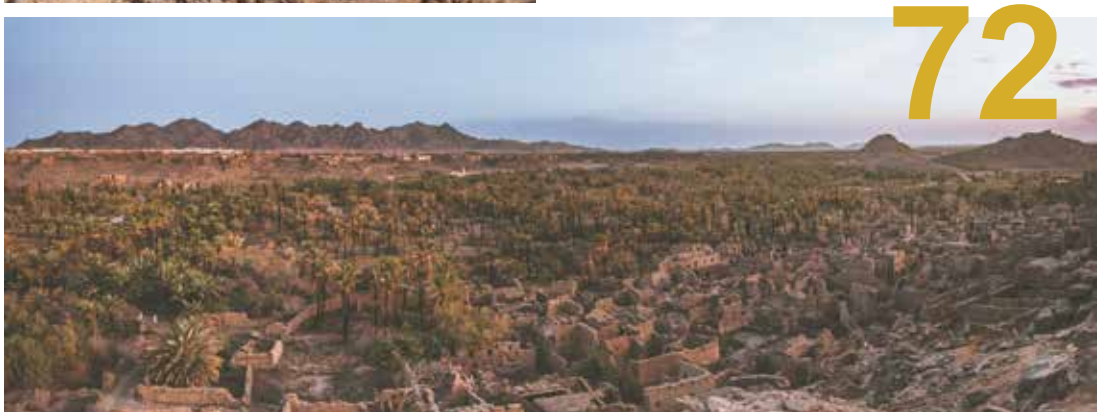

82 أحداث تاريخية
مرتبطة بالمدينة

90 أعلام
سكنوا المدينة

98
من قصص
المدينة

العاصمة الأولى

المدينة: هي المدينة المقدسة الثانية عند المسلمين بعد مكة المكرمة، وهي أول عاصمة لدولة الإسلام الأولى التي أسسها النبي ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار، فكانت نواة للحضارة الإسلامية التي انتشر نورها في أرجاء العالم.

أسماؤها:

للمدينة عدد من الأسماء، ذكر بعض أهل العلم أنها عشرة، وذكر بعضهم أنها أربعون ، ومن أشهرها:

١. **يَثْرب:** وهذا هو الاسم القديم للمدينة الذي كانت تُعرَف به قبل هجرة النبي ﷺ إليها، وجاء هذا الاسم في القرآن ضمن حكاية قول المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ (الأحزاب: ١٣)، وورد عن النبي ﷺ ما يدل على كراهيته لهذا الاسم، قال ﷺ: «أُمِرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة» (البخاري ١٨٧١) ، وسبب كراهيته ﷺ لهذا الاسم أنه مأخوذ من الثَّرب، وهو الفساد، والتَّثريب، وهو المؤاخذة بالذنب. (ينظر: المفهم ٤٩٨/٣)

٢. **المدينة:** وهو أشهر أسمائها، وهو اسم عجيب يثير تساؤلات في فكر من يسمعه لأول مرة، ويدعو إلى التأمل فيه؛ لأن كلمة «مدينة» تطلق في اللغة على التجمع السكاني المتحضر الذي يزيد على تجمع القرية، لكن إذا قيل «المدينة» عند المسلمين بدون أن تُقَيَّد الكلمة بوصف، أو سياق يدل على مدينة أخرى، فإن هذا لا يعني عندهم إلا المدينة المنورة، فصار هذا اللفظ «المدينة» علمًا عليها دون سائر المدن، وفي هذا إشارة إلى كونها المدينة الكاملة التي تستحق اسم المدينة بهذا الإطلاق .

وقد أضاف الناس إليها وصف «المنورة» في الأعصر المتأخرة، فصاروا يقولون: «المدينة المنورة»؛ لأنها استضاءت بنور النبي ﷺ لما هاجر إليها، وفي الحديث عن أنس ﷺ قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كل شيء» (الترمذي ٣٦١٨).

واسم المدينة ورد في آيات وأحاديث عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (التوبة: ١٢٠)، وقول النبي ﷺ: «يُهِلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة» (البخاري ١٣٣).

٣. **طَيْبَة وطابة:** قال النبي ﷺ مشيرًا إليها: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» (مسلم ٢٩٤٢)، وقدم يومًا من سفر، فلما رأى المدينة قال: «هذه طابة» (البخاري ١٤٨١). وقال في مناسبة أخرى: «إن الله تعالى سمَّى المدينة طابة» (مسلم ١٣٨٥).

والطاب والطيب كلمتان بمعنى واحد، واشتقاقهما من الشيء الطيب، سميت المدينة بذلك لطهارة تربتها، ولطيبها لساكنها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها.

٤. «**البَارّة**»، و«**البَرّة**»: سميت بذلك لكثرة برِّها؛ إلى أهلها خصوصًا، وإلى جميع العالم عمومًا .

٥. «**الدار**»: وأخذ هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ (الحشر: ٩)، وسميت به لأمنها والاستقرار بها .

٦. «**الجُنّة الحصينة**»: والجُنَّة هي الوقاية؛ وجاء هذا الاسم فيما حكاه بعضهم من قوله ﷺ في غزوة أحد: «أنا في جُنّة حصينة -يعني المدينة- دعوهم يدخلون نقاتلهم»، وفي حديث آخر: «ورأيت -أي في رؤيا المنام- أني في درع حصينة، فأولتها: المدينة». (أحمد ٢٤٤٥)

الموقع والطبيعة:

تقع المدينة في إقليم الحجاز الواقع غربي المملكة العربية السعودية، غربي الجزيرة العربية الواقعة غربي قارة آسيا، وتبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٤٠٠ كيلومتر شمالًا، وبينها وبين القدس ٩٢٠ كيلومتر، كما يبعد منها البحر الأحمر إلى الغرب بحوالي ١٥٠ كيلومتر، وترتفع عن مستوى سطح البحر ب ٦٠٠ متر.

والمدينة واحة تحيط بها الجبال والجبيلات، وتتداخل معها الحَرَّات*، وتتخللها وتدور حولها، وهي تقع بين حرَّتين؛ من الشرق حَرَّةُ (واقِم)، ومن الغرب حَرَّةُ (الوَبَرَة)، وتنتهي إليها مجاري الوديان والسيول، وتتوزع في منطقتها مساحات مزروعة، وأخرى قابلة للزراعة تبعًا لطبيعة التربة وكفاية المياه.

* الحرَّات: جمع حَرَّة، وهي الأرض المفروشة بالحجارة البركانية السوداء، وتُسمَّى أيضًا اللَّابة.

حرم المدينة وحدودها:

لكل مدينة حدود معروفة، قد تكون بحسب وصول منتهى البنيان، أو بما اصطلح عليه الناس، أو غير ذلك من الاعتبارات، لكننا نلاحظ في المدينة -كما في مكة- وجود الحَرَم، وهو بقعة جغرافية لها أحكام شرعية محدَّدة، ويدل اسم الحرم على أن هناك أشياء لا يحل فعلها فيه، وهذه الأشياء لم يحرمها البشر، وإنما حرَّمها الله تعالى في القرآن الكريم أو على لسان النبي ﷺ.

قال ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة» (البخاري ٢١٢٩، ومسلم ١٣٦٠) ، وقال أيضًا: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ» (البخاري ١٨٧٣، ومسلم ١٣٧٢)، وقال: «حرام ما بين حرتيها» (أحمد ٩٥٩) ، وقال ﷺ: «المدينة حرم ما بين عَيْر إلى ثَور». (البخاري ٦٧٥٥)

فنستنبط مما سبق أن حرم المدينة يمتد من جبل ثَور الواقع خلف جبل أُحُد شمالًا، إلى جبل عَيْر جنوبًا، ومن حرة واقم (الحرة الشرقية) شرقًا، إلى حرة الوبرة (الحرة الغربية) غربًا.

وقد تجاوز النطاق العمراني هذه الحدود، فليست كل المدينة حرمًا، بل الحرم هو ما بين هذه الحدود فحسب، واسم المدينة يشمل ما هو أبعد من الحرم.

فضائل المدينة ومكانتها:

ميَّز الله جلَّ وعلا المدينة بميزات وفضائل لا تجتمع في مدينة من مدن العالم، وجعلها في المرتبة الثانية في الفضل والمكانة بعد مكة المكرمة، فمن هذه الفضائل:

١. **أن الله عز وجل اختارها لتكون مُهاجَرًا ومُستقَرًّا لنبيه** ﷺ، ولأصحابه المهاجرين، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ (الحشر: ٩)، وقد رآها ﷺ في المنام، ورؤيا الأنبياء حق، حيث قال يومًا للمسلمين: «إني أُرِيتُ دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» وهما الحرَّتان، فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة (البخاري: ٣٩٠٥).

٢. **أن الإيمان يرجع إليها ويجتمع بها**، قال النبي ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (البخاري: ١٨٧٦).

٣. **أنها مباركة بدعوات النبي المبارك** ﷺ، فمن ذلك قوله: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صَاعِنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنَا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» (مسلم: ١٣٧٤)، وقوله: «اللهم

بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم، ومدهم» يعني أهل المدينة. (البخاري ٢١٣٠، ومسلم ١٣٦٨)

٤. **الأجر العظيم لساكنها الصابر على شدَّتها** وما يحل به فيها من الفقر والمصائب، قال ﷺ: «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة -أو شهيدًا-». (مسلم: ١٣٧٨)

٥. **الوعيد الشديد لمن تَعَرَّض لأهلها بظلم**، ففي الحديث: «من أخاف أهل المدينة ظُلمًا أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرفًا ولا عَدْلًا» (أحمد: ١٦٥٥٧)، بل إن الوعيد ينال من أراد بهم سوءًا، كما في الحديث: «من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء». (مسلم: ١٣٨٧)

٦. **أن النبي ﷺ حرَّمها**، وذلك لقوله ﷺ: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حَرَمًا، وإني حرمت المدينة حرامًا ما بين مأزميها، أن لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف». (مسلم: ١٣٧٤)

٧. **أن الذنوب فيها مضاعفة العقاب**، ففي الحديث: «المدينة حرم ما بين عَير إلى ثور، فمن أحدَث فيها حَدَثًا، أو آوى محدِثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». (البخاري: ٦٧٥٥)

٨. **أنها محفوظة من فتنة الدجال**، قال ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرِج اللهُ كل كافر ومنافق». (البخاري ١٨٨١، ومسلم ٢٩٤٣)

٩. **أنها تنفي عنها شرارها قبل يوم القيامة**، قال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد». (مسلم: ١٣٨١)

التاريخ القديم

لا يمكن معرفة التاريخ إلا بوحي من الله، أو بما نجده من الآثار القديمة التي يجتهد العلماء المعاصرون في قراءتها وفك غموضها، أو من خلال الروايات التاريخية، ومع ذلك يبقى الكثير من التاريخ لا يعلمه إلا الله تعالى.

حاول العلماء معرفة التاريخ القديم للمدينة من خلال الروايات التاريخية؛ وقد اختلفت الأقوال في أول من سكنها، وهذا شأن الروايات في التاريخ القديم، إذ من الصعوبة بمكان الوصول إلى الجزم فيها؛ فمن الأقوال المذكورة في كتب التاريخ عن أول سكان المدينة ما يلي :

١. أن أول من سكنها قبيلة عبيل بن عوص بن إرم ابن سام بن نوح، بعد أن كثروا في بابل وتفرقوا في الأمصار.

٢. أن أول من نزلها يثرب بن قانية بن مهلاييل بن إرم بن عبيل بن إرم بن سام بن نوح، وسميت يثرب باسمه.

٣. أن أول من عمرها العماليق، قال ياقوت الحموي: «وكان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمّر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق، وهم بنو عملاق بن أرفخشد ابن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل في نسبهم غير ذلك». (معجم البلدان ٥/ ٨٤)

وقد وجدت كتابات مَعينية تذكر يثرب، وربما تكون هي أول نقوش أثرية تذكر المدينة، لذلك يُرجِّح عدد من الباحثين أن «يثرب» قد خضعت للمملكة المعينية وأصبحت واحدة من مناطق نفوذها، بينما يرى غيرهم أنها لم تدخل تحت حكمهم، وإنما كانت تسكنها جاليات مَعينية؛ لأن المملكة كوَّنت مجموعة مستوطنات لحماية طريق التجارة إلى الشمال، وكان هذا الطريق يمر بيثرب.

والمملكة المعينية من أقدم الممالك العربية الجنوبية التي وصلتنا بعض أخبارها عن طريق المكتشفات الأثرية، وهي مملكة قديمة تنسب إلى قبيلة مذحج، نشأت في شمال اليمن في الألفية الأولى قبل الميلاد، وكانت عاصمتها معين أو قرناو أو القرن، التي تقع حاليًّا شرق صنعاء، وقد ذكرها بعض الجغرافيين الغربيين، أما المؤرخون والجغرافيون العرب فلم تصلهم أخبارها.

كما وردت الإشارة إلى «يثرب» في نصوص بابلية ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، إذ تحدثنا كتابة عُثِر عليها في «حران» عام ١٩٥٦م، عن أعمال الملك البابلي «نبونيد» (٥٥٥-٥٣٩ ق. م) في بلاد العرب، فتروي أن ذلك الملك الذي اشتهر بحب الآثار، قام بحملة في العام الثالث من حكمه إلى شمالي غرب شبه الجزيرة العربية، احتل فيها تيماء وديدان وخيبر ويثرب، والتي ذُكِرَت باسم «أتريبو»، وكانت آخر موضع وصل إليه العاهل البابلي في بلاد العرب.

كما جاء اسم «يثرب» كذلك في جغرافية بطليموس (توفي عام ١٥٠م تقريبًا)، وعند «إصطفيانوس البيزنطي» تحت اسم «يثربة Jathripa».

يهود المدينة:

استوطنت المدينة ثلاث قبائل يهودية، هي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكانت هجرة اليهود إلى المدينة (التي كانت تسمى يثرب) على دفعات متتابعة في أزمان مختلفة، ولا يُعرف على وجه الدقة متى سكن اليهود المدينة في أول الأمر، ولا السبب الذي دعاهم إلى تفضيل المدينة، فمِن قائل إنها بسبب الاضطهاد الذي لاقَوه في الشام؛ من البابليين تارة ومن الروم تارة، ومن قائل إن الهجرة كانت قديمة في زمن موسى عليه السلام، ومن قائل إنها بسبب علمهم بنبي يهاجر إليها، وكلها روايات تحتاج إلى تمحيص؛ فالرواية التي تقول إن موسى عليه السلام أرسل جيشًا إلى العماليق بالمدينة فأهلكهم، رواية تتوجه إليها الريبة والشك من نواح متعددة، منها ما حكاه الله تعالى عن اليهود في سورة المائدة ورفضهم الامتثال لأمر الله بدخول بيت المقدس لوجود الجبَّارين فيها، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢).

ومهما يكن السبب الذي جعل اليهود يسكنون المدينة، فمن المؤكد أنهم كانوا يعلمون بأن المدينة ستكون مسكنًا لنبي آخر الزمان، وأنهم كانوا يعلمون صفته بالتفصيل، فقد كان عندهم علم بذلك ورثوه من أنبيائهم، لكن الذي كانوا يجهلونه هو نَسَبه ومن أي القبائل سيكون، فكانوا يرجون أن يكون من قبائلهم، فلما اكتشفوا أنه لم يكن منهم عادَوه ولم يؤمنوا به حسدًا.

قال بعض كبار السن من الأنصار: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منا؛ كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩). (سيرة ابن إسحاق: ص ٨٤)

وقال الصحابي أبو نملة عمار بن معاذ الأنصاري: «كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم، ويُعَلِّمون الوِلدان صفتَه، واسمَه، ومهاجَره إلى المدينة، فلما ظهر حسدوا، وبغَوا، وأنكروا». (دلائل النبوة لأبي نعيم: ح٣٩)

الأوس والخزرج:

سكنت قبيلتا الأوس والخزرج المدينة قبل الإسلام، وهما قبيلتان قحطانيتان، جاءتا من مملكة سبأ في اليمن، ويقال إن مجيئهما كان بسبب انهيار سد مأرب، وعندما وصلت القبيلتان إلى يثرب أعجبتا بما فيها من أرض خصبة وينابيع كثيرة فاستقروا فيها مع وجود قبيلتين من اليهود، هما بني قريظة وبني قينقاع، وبعد ذلك عُقِد حلف ومعاهدة بين اليهود والأوس والخزرج، يلتزمون فيها بالسلام والتعايش والدفاع عن يثرب ضد الغزاة، فتحالفوا على ذلك والتزموا به مدة من الزمن ازداد خلالها عدد الأوس والخزرج ونمت ثرواتهم، وخاف اليهود من اتساع سلطة ونفوذ القبيلتين، فقاموا بنقض العهد لكي يوقفوا توسع الأوس والخزرج ويضعفوهما، فاستعان سادة الخزرج بأبناء عمهم الغساسنة -الذين كانوا يسكنون في الشمال منذ زمن- فأعانوهم ورجحت كفة الأوس والخزرج على اليهود.

لكن اليهود لعبوا لعبة أخرى؛ بإيقاع الخصومة بين الأوس والخزرج، مستغلين ما بينهما من التنافس والتفاخر، ونجحوا في خططهم، فاشتعلت حروب عديدة بينهما تخللتها أوقات هدوء نسبي. استمرت المناوشات بين الطرفين قرابة مئة وعشرين عامًا، وكانت الحرب تنشب لأتفه الأسباب، وكان آخر الحروب الكبيرة ما سُمِّي بـ"يوم بُعَاث" الشهير، الذي روى العرب بعض الأشعار التحريضية التي قيلت فيه، ولم يتحقق الوئام التام والأُخُوَّة الصافية بين الأوس والخزرج إلا عند هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهذا أحد محاسن الإسلام العظيمة، وأثره الإيجابي الكبير على الشعوب مهما كان حالها قبل الإسلام.

حال المدينة
وقت البعثة

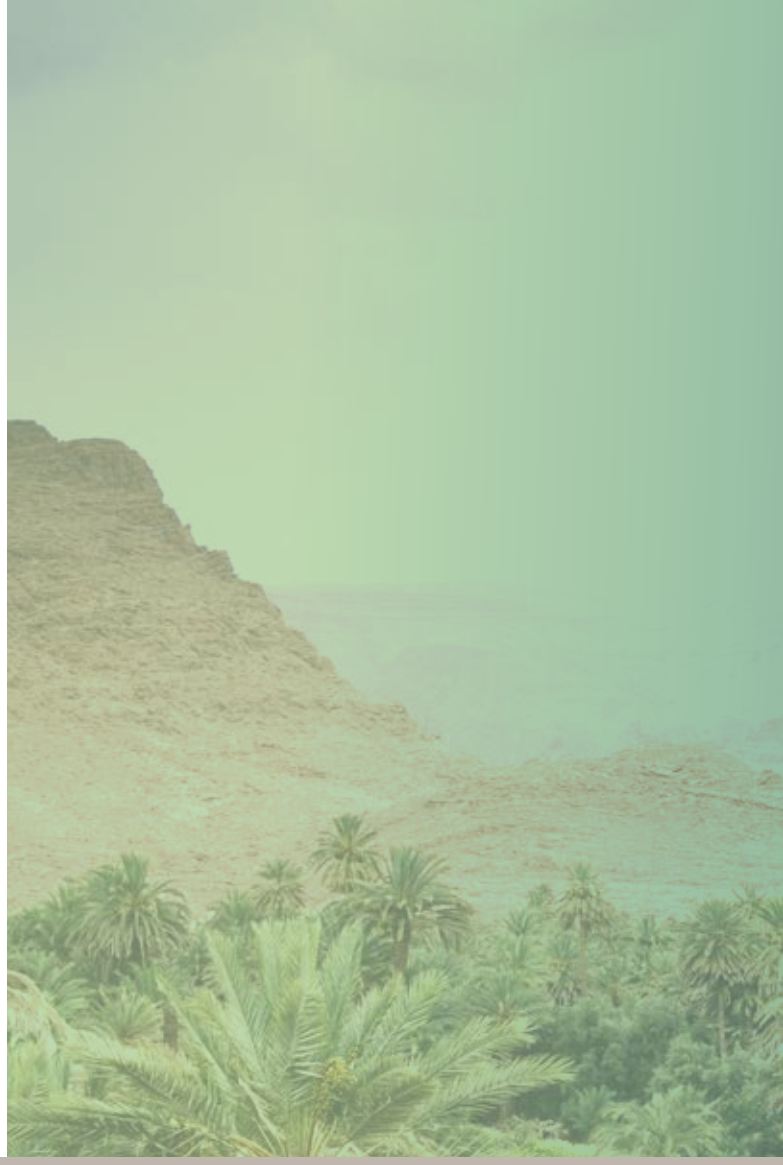

شاع في المدينة قبل البعثة النبوية عدد من الديانات كالوثنية واليهودية، وكان مجتمع أهل يثرب مستقلًا بذاته على الأرجح، وقد اشتُهرت بالزراعة وكثرة النخيل..

الحالة الدينية:

عرفت المدينة عددًا من العقائد والديانات قبل الإسلام، وهي:

الوثنية: وهي ديانة أغلب أهلها الأصليين من الأوس والخزرج، ومن الأصنام المعروفة لأهل المدينة (مَنَاة)، ويرجح بعض المؤرخين أنه كان بالمشلل بين مكة والمدينة، وقد ارتبط اسم الأوس والخزرج به، وكانوا من تعظيمهم لمناة لا يجعلون ظهورهم إليها.

وتشير الروايات إلى أن بيوت يثرب كانت فيها أصنام عندما بدأ المسلمون يتوافدون إليها مهاجرين من مكة؛ فهناك قصة صنم عمرو بن الجموح وما فعله أبناؤه به، وقصة سهل بن حنيف الذي كان يكسر أصنام قومه ليلًا.

اليهودية: كان في المدينة أقلية من اليهود الذين أتَوا من خارجها واستوطنوا فيها، إلا أنه لم تُعرَف لهم معابد عامة كبيرة، ولم تذكر كتب السيرة أسماء معابد يهودية مخصوصة، وقد ذكر اليعقوبي أن قومًا من الأوس والخزرج تهوَّدُوا.

الحنيفية: هي الديانة الثالثة في ذلك الوقت في المدينة، ويذكر بعض المؤرخين أن أفرادًا من يثرب في أواخر العصر الجاهلي كانوا على الحنيفية، وأنهم أدركوا هجرة الرسول ﷺ، وقد اشتهر منهم رجلان:

١. أبو عامر عمرو بن صيفي (وهو من الأوس): وقد لبس أبو عامر المسوح وكان كثير الأسفار، فلما ظهر الإسلام حسد النبي ﷺ وعانده وأخذ يحرض عليه.

٢. أبو قيس صرمة بن أبي أنس (وهو من الخزرج): وقد أسلم وحسن إسلامه.

الحالة السياسيَّة والاجتماعيَّة:

لم تكن المدينة مملكة ولا دولة؛ بل مجتمعًا زراعيًّا محدودًا له نظامه العشائري والبيئي المتعدد، ولم تكن لأهلها علاقات تذكر مع الدولتين العظيمتين آنئذ؛ الفرس والروم.

كان سكان المدينة يتكونون من ثلاث مجموعات رئيسة؛ الأوس والخزرج واليهود، وكان الأوس في شقاق مع الخزرج، فقد أشعل اليهود فتيل الحرب بينهما وأذكوها طوال مئة وعشرين سنة كما سبق.

لكن اليهود لم يكونوا أفضل حالًا، فقد كانوا منقسمين فيما بينهم كذلك؛ حيث يهود بني قينقاع في شقاق مع يهود بني النضير وبني قريظة، وقد وقعت بينهم خصومات ومشاجرات كثيرة، بل حتى في الحرب بين الأوس والخزرج كان بعضهم يحالف الأوس، وبعضهم الآخر يحالف الخزرج.

ويوم بعاث وقف بنو قينقاع مع الخزرج ضد الأوس وحلفائهم من اليهود الآخرين، لكنهم أصيبوا بخسائر كبيرة اضطرتهم إلى ترك بعض منازلهم والالتجاء إلى داخل يثرب.

ومن جهة أخرى فقد كان بعض الأحبار يتحيزون ويحابون ويرتشون ويتساهلون في تطبيق الأحكام، ولما هاجر الرسول ﷺ ضجَّ بعض اليهود من حكامهم وأحبارهم، ورفضوا غير مرة أحكامهم المتعسفة واحتكموا إلى الرسول ﷺ، فحكم بينهم بالعدل.

الحالة الاقتصاديَّة:

لم تكن المدينة في حالة اقتِصاديَّة جيّدة عند قدوم المسلمين إليها مهاجرين من مكة؛ بل كانت غارقةً في أوضاع اقتِصاديَّة سيِّئة للأسباب الآتية:

١. **الحروب الطاحنة** التي دارت بين الأوس والخزرج وحلفائهما من اليهود وكادت تقضي على اقتصادها تمامًا.

٢. **عدم كفاية المحصول الزّراعي** إلَّا بالقدر الضروري، وكثيرًا ما كان أهل المدينة يجلبون الحبوب والدقيق من الشام ليتزوَّدوا به، وليكملوا النقص في محاصيلهم الزراعيَّة.

٣. **إمساك اليهود بزمام الاقتصاد** بواسطة رؤوس الأموال الضَّخمة.

٤. **تفشِّي الربا بصورة كبيرة** من قِبَل اليهود، مما كاد يقضي على ممتلكات النَّاس.

٥. **انتشار العبث بالمكاييل** والموازين.

ولما قدم المهاجرون إلى المدينة، ونزلوا على إخوانهم الأنصار ازدادت الحالة الاقتِصاديَّة سوءًا، بسبب زيادة عدد السكان وبقاء الموارد قليلة كما كانت.

وأمام هذه الأوضاع الاقتِصاديَّة السيِّئة، وضع الإسلام أسسًا أرّسى عليها الاقتِصاد الَّذي يُريد بناءَه من جديد؛ حيث أعطى الإسلام العمل منزلة عالية وقدرًا رفيعًا، وحضَّ على التكافل والتراحم والتعاون، وقد ضرب الأنصار أعظم الأمثلة في الجود والكرم، فكانوا يؤثرون إخوانهم المهاجرين الوافدين إليهم على أنفُسِهم.

الهجرة الخالدة:

مؤامرة دار الندوة:

ضاق المشركون في مكة ذرعًا بالرسول ﷺ وأصحابه ودعوة الإسلام، لا سيما بعد أن فشلوا في كل محاولاتهم للقضاء على الدين الجديد؛ فقد فشلت وسائل التعذيب والإرهاب لصرف النبي ﷺ والمسلمين عن الإسلام والدعوة إليه، وفشل الحصار الجائر على المسلمين وبني هاشم في الشِّعب، وفشلت أساليب الخداع والإغراء، وباءت حرب الإشاعات بخيبة الأمل، ورأوا بأعينهم انتشار الإسلام في كل مكان.

ولما علموا بما تم بين الرسول ﷺ وأهل المدينة من البيعة على النصرة والإيمان، أزعجتهم تلك الأخبار، وأقلقهم هاجس انتصار التوحيد على الوثنية التي استماتوا في الدفاع عنها، وحزَّ في نفوسهم أن يتغلب محمد ﷺ عليهم، فلم يعودوا يفكِّرون إلا في كيفية التخلص منه!

تواعد القوم أن يلتقوا في دار الندوة، وأن يطرحوا هذا الموضوع الذي شغل بالهم على بساط البحث، وعزموا على أن يتخذوا فيه قرارًا حاسمًا مهما كلفهم ذلك. بدأت جلسة المشركين الحاسمة بحماسة لم تعرفها دار الندوة من قبل، وبعد المداولات انتهى أمرهم إلى أن يأخذوا من كل قبيلة رجلًا فيجتمعوا على رسول الله ﷺ ليضربوه بالسيف إذا خرج من بيته ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل ولا يستطيع قوم النبي ﷺ الثأر من قبيلة بعينها.

الركب المبارك:

اجتمع المشركون المكلفون بقتل النبي ﷺ، وأحاطوا ببيته إحاطة السوار بالمعصم، وباتوا ينتظرون ساعة الصفر، عند خروجه إلى المسجد للصلاة!

ولكن حدثت معجزة لم تكن في حسبان المشركين، فقد أعمى الله أبصار القوم، وخرج رسول الله ﷺ من بين أيديهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ (يس: ١ - ٩)، فلم يروه.

وكان الرسول ﷺ قد تجهز قبل ذلك للهجرة مع أبي بكر وأعد لكل شيء عدته، فانطلقا جنوبًا -عكس اتجاه المدينة- حتى يموِّه على المشركين، وبقيا في غار ثَور ثلاثة أيام حتى ييأس المشركون من طلبه.

مضت على الرسول ﷺ وصاحبِه الأيام الثلاثة وهو في الغار، وهدأ الطلب ويئس المشركون، فاطمأن الدليل ووافاهما براحلتيهما، فغادر رسول الله ﷺ الغار مع صاحبه في رعاية الله وحفظه، وسلك الدليل طريقًا لا يعرفها كثير من أهل مكة إمعانًا في تضليل المشركين، وضمانًا لسلامة المهاجرين، وكان السائرون في هذا الدرب أربعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، صحبهما ليقوم بخدمتهما، ثم عبد الله بن أريقط دليلهما.

فائدة — مشروعية وأهمية الإعداد والأخذ بالأسباب

لقد كان الله عز وجل قادرًا على أن ينصر النبي ﷺ ويبلغه مهاجَرَه دون هذه المشاق، لكنه تعالى أراد أن يكون النبي ﷺ قدوة لمن بعده؛ في تحمل المشاق في سبيل نصرة هذا الدين؛ فالدنيا دار اختبار للإنسان، ونصرة الدين بالنفس والمال تعبر عن أصدق صور الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العنكبوت: ١ - ٣)، **وقال جل وعلا:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٥).

وأراد جل وعلا كذلك أن يكون النبي ﷺ قدوة لنا؛ في التخطيط والإعداد والأخذ بالأسباب، مع تعلق القلب التام بالله عز وجل واعتقاد أنه جل وعلا إن شاء أجرى الأسباب فآتت أكلها وإن شاء لم تغن الأسباب شيئًا، وهذه حقيقة التوكل؛ الأخذ بالأسباب مع تعلق القلب برب الأسباب، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

الاستقبال المشهود:

سمع أهل المدينة بخروج النبي ﷺ مهاجرًا إليهم، فكانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون قدوم الحبيب ﷺ، حتى إذا اشتد الحر عليهم عادوا إلى بيوتهم، وفي اليوم الذي وصل فيه النبي ﷺ، انتظروه حتى إذا لم يبقَ مكان فيه ظل يستظلون به رجعوا.

وصل النبي الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وقد دخل الناس بيوتهم، وكان اليهود يرون ما يفعله الأنصار كل يوم، فلما رآه رجل من اليهود صرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة -وهي جدة للأنصار ينسبون إليها- هذا صاحبكم قد جاء؛ فلما سمعوا ما قال كبَّر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقَّوه وحيَّوه بتحية النبوة، وأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، فمال بهم إلى منازل بني عمرو بن عوف، فبقي هناك بضع ليال، وأسس مسجد قُباء وصلَّى فيه.

انطلق النبي ﷺ وصاحبَه إلى المدينة، فاستقبله ما يزيد عن خمسمئة من الأنصار، وسار الحبيب صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحشد في مشهد تاريخي مهيب، وصفه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه الذي كان صغيرًا حينئذ فقال: «لقد رأيت اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ علينا، واليوم الذي قبض فيه، فلم أر يومين مثلهما قط».

وكان النبي ﷺ كلما مر على بيت أحد من الأنصار يمسكون بخطام ناقته قائلين: «هلم إلينا يا رسول الله، إلى العدد والعِدَّة والمَنَعَة»، وهو يقول لهم: «دعوها فإنها مأمورة». حتى بركت في أرض خلاء عند دار أبي أيوب الأنصاري فنزل ﷺ عنده، وأقام في بيته نحوًا من سبعة أشهر، حتى تم بناء مسجده في الأرض الخلاء التي بركت فيها الناقة، فانتقل إلى الحُجُراتِ التي أقيمت حول المسجد له ولأزواجه.

فائدة

قصة التاريخ الهجري

لم يكن للعرب تاريخ يؤرخون به، فكانوا يؤرخون نسبة إلى حروبهم وغزواتهم؛ كعام بُعاث، والحوادث المشهورة؛ كعام الفيل، وغير ذلك، فلما كان زمن خلافة عمر بن الخطاب جمع الصحابة ليتفقوا على تاريخ مناسب تُضبط به شؤون الناس، فلم يجدوا أنسب من بدء التأريخ بهجرة النبي ﷺ؛ لأن الهجرةَ النبويَّة من مكَّة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت منعطفًا حاسمًا في مسار التاريخ الإسلامي، بل في التاريخ الإنساني كله؛ لِما أسَّسَت له من تحوُّلات عميقة وجذريَّة في كل المجالات.

كان حدَث الهجرة إعلانًا عن بزوغ مَرحلة الدَّولة الإسلاميَّة، بعد مرحلة الدَّعوة في مكَّة المكرمة، وقد وضع الرسولُ ﷺ خِلال هذه المرحلة الجديدة المعالمَ الأساسيَّة للمجتمع الإسلامي في كلِّ أبعاده؛ الفرديَّة والجماعية، العامَّة والخاصة.

وقد بقي هذا التاريخ يُذَكِّر المسلمين دائمًا بقصة الهجرة، والمعاناة التي لاقاها النبي ﷺ، ليستحضروا أن عليهم تحمل المشقة والمعاناة لِيُبلِّغوا دين الله، وأنهم سيصطدمون بأناس يقدمون المصلحة الشخصية والمكاسب الدنيوية على ثواب الآخرة الباقي، فيحاربون الدين لكيلا تذهب عنهم المزايا التي يتمتعون بها، فصارت هذه القصة نبراسًا يهتدي به المسلمون عبر القرون.

أول أعمال النبي ﷺ:

بدأ النبي ﷺ حال وصوله إلى المدينة بوضع أسس الدولة الجديدة، وكانت أولى الأولويات بعبارة عصرنا «ترتيب الوضع الداخلي»، وكان أبرز ما قام به ﷺ:

١. **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:** بحيث يؤازر الأنصاري أخاه المهاجر وينصره والعكس، وكان المسلمون بهذه المؤاخاة يرث أحدهم الآخر كما يرث من أقربائه ورَحِمه، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٥)، فصار التوارث بالقرابة.

٢. **بناء المسجد النبوي:** لأهمية المسجد في الإسلام ودوره المركزي في حياة المسلمين، بدأ النبيّ ﷺ بناء المسجد النبوي حال وصوله إلى المدينة، بل إنه عندما نزل قباءَ قبل دخول المدينة بنى فيها مسجد قباء. والمسجد لم يوجد في الإسلام لأداء الصلاة فقط، وإنما هو مدرسة المجتمع الحقيقية، وهو نقطة الانطلاق لتبليغ دين الله، وهو مركز الدولة الإسلامية السائرة على نهج الله.

فائدة — الأُخُوَّة الإسلامية

الأُخُوَّة بين أفراد المجتمع قيمة أساسية تميِّز المجتمع المسلم الصالح، ولَبِنة أساسية من لبنات إقامة الأمة الإسلامية، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضًا» وشبك بين أصابعه (البخاري: ٢٤٤٦)، **فشبَّه ما ينبغي أن يكون عليه ترابط المسلمين فيما بينهم، بالبناء الذي لا يقوم إلا بوجود روابط قوية تربط كل طوبة ولَبِنة فيه بأختها؛ وهذه الروابط هي روابط الأخوة الإيمانية، قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (الحجرات:١٠).

ولهذا كان أول الأساسات التي وضعها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة عندما هاجر إليها أساس الأُخُوَّة؛ فأزال العداوة القديمة التي كانت بين قبائل الأنصار، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، فكان ذلك الجيل الرائع الفريد الذي لم يتكرر في التاريخ.

٣. **العهد مع اليهود:** عقد النبيّ ﷺ وثيقة عهدٍ مع اليهود تنصّ على اعتبارهم جزءًا من رعايا الدولة الإسلاميّة، لهم حقوق وعليهم واجبات، فلا يَظلِمون ولا يُظلمون، وكان من شروط الوثيقة أن يَدفعوا مع المسلمين أيّ اعتداءٍ يقع على المدينة، وألّا يتحالفوا مع عدوٍ للمسلمين عليهم.

محبة النبي ﷺ للمدينة وأهلها:

امتلأ قلب النبي ﷺ بحُبِّ المدينةِ وأهلِها، وكثيرًا ما كان يعبِّر عن هذا الحب بالقول والفعل، فمن ذلك أنه إذا عاد من سفر واقترب من المدينة فرآها أسرع السير نحوها، فعن أنس ﷺ «أن النبي ﷺ، كان إذا قدم من سفر، فنظر إلى جُدُرات المدينة، أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرَّكها من حُبِّها» (البخاري: ١٨٨٦) ، وكان يدعو الله أن يزيد هذا الحب، وأن يزيل عن المدينة المرض والأوبئة، فكان من دعائه: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصحِّحها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفَة». (البخاري: ١٨٨٩)

وكان ﷺ يحب الأنصار جدًّا، بل جعل حبَّهم علامةً على الإيمان فقال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» (البخاري: ١٧، ومسلم: ٧٤)، واستقبله ذات يوم صبيان من الأنصار وخدم لهم قادمين من عرس، فقال: «والله إني لأحبكم». (ابن حبان: ٤٣٢٩)

وعندما فُتِحت مكة خشي الأنصار أن يرغب ﷺ في الانتقال إليها، وتحدثوا بذلك، فقال لهم: «كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم». (مسلم: ١٧٨٠)

وكما عبَّر النبي ﷺ عن حبه لعموم المدينة، عبَّر عن حبه لأماكن مخصوصة، فمن ذلك قوله: «أحد جبل يحبنا ونحبه». (البخاري: ٤٤٢٢، ومسلم ١٣٩٢)

تحريش الأعداء بين المسلمين:

من المواقف العجيبة بعد هجرة النبي ﷺ واستقرار أمر المسلمين وتآلفهم، أن يهوديًّا طاعنًا في السن اسمه «شاس بن قيس» مرَّ على مجلس فيه رجال من الأوس والخزرج وهم يتحدثون بكل حب ووئام، فلما رأى ذلك دبَّ الحسد والغيظ في قلبه، فأوعز إلى شاب أن يجلس معهم ويذكر يوم بُعاث ويُنشد بعض الأشعار التي قيلت فيه ليوقع العداوة بينهم، ففعل الشاب، فتبادل بعض صغار السن السُّباب، وكادت أن تقع مقاتلة بين تلك الجماعة؛ إلا أن النبي ﷺ لما سمع بالخبر ذهب إليهم وقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بين قلوبكم؟!»، فأفاق القوم وعرفوا أن سبب هذا التنافر النادر وسوسة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكَوا وعانق الرجال من الأوس إخوانهم من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ متآلفين. سيرة ابن هشام (١/ ٥٥٥-٥٥٧)

من قصص المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

لما هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: هلم أقاسمك مالي نصفين، ولي امرأتان فأطلق إحداهما، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فدلوه على السوق، فما رجع في ذلك اليوم إلا ومعه مال ربحه!

وهذه القصة تظهر قوة الإيمان التي أثَّرت في قلوب الصحابة تأثيرًا عظيمًا، فلا تدري من أي الرجلين تعجب، أممن نزل لأخيه عن نصف ماله، وإحدى زوجتيه عن طيب نفس! أم من أخيه الذي تعفف عن ذلك الرزق الذي ساقه الله إليه بلا عناء، ودعا لصاحبه بالبركة، وشمر عن ساعد الجد، وذهب للسوق يطلب الرزق بكدِّه وتعبه!

محبة الصحابة للمدينة وتمني الموت بها:

لما توفي النبي ﷺ خرج كثير من الصحابة يحملون معهم نور الإسلام ورسالته إلى العالم؛ ليهدوهم إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، ولينقذوهم من الظلم والضلال والظلام إلى الحق والهدى والعدل والنور، وليخرجوهم من عبودية الناس إلى عبودية رب الناس، فأقبل الناس على دين الله، وفتحت البلاد، واتسعت دولة الإسلام.

وكان أغلب الولاة والأمراء والقضاة والقادة والجمع الكبير من الجيش في تلك الأيام من الصحابة، الذين خرجوا خدمة للإسلام وتلبية لحاجات الناس وإخوانهم المسلمين، ولم يخرجوا رغبة عن المدينة أو كراهية لها، بل كانت المدينة محبوبة لديهم وكانت لها مكانة في قلوبهم وعظمة في نفوسهم، ويتمنون لو أنهم ماتوا بها، لحديث النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» (الترمذي ٣٩١٧) ، ولهذا كان عمر ﷺ يتمنى الموت بها بقوله: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ». (البخاري ١٨٩٠)

وقد رجع كثير من الصحابة إلى المدينة وماتوا بها؛ فالصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ كان واليًا لعمر بن الخطاب ﷺ على العراق، ثم رجع إلى المدينة. وعبد الله بن مسعود ﷺ كان أرسله عمر ابن الخطاب ﷺ إلى الكوفة ليعلم الناس أمور دينهم، ثم ولاه عثمان بن عفان ﷺ إمارة الكوفة، ثم رجع ابن مسعود ﷺ إلى المدينة، وأقام فيها حتى مات بها. وأبو هريرة ﷺ كان واليًا لعمر بن الخطاب ﷺ على البحرين ثم رجع إلى المدينة ومات بها. وعمير ابن سعد بن عبيد الأنصاري ﷺ كان واليًا لعمر ﷺ

على حمص، ثم رجع إلى المدينة ومات بها. وسعيد ابن العاص بن أمية القرشي الأموي ﷺ كان واليًا لعثمان ﷺ على الكوفة ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات بها. وعبيد الله بن عباس الهاشمي ﷺ كان عاملًا لعلي بن أبي طالب ﷺ على اليمن ثم عاد إلى المدينة ومات بها. وعمر بن أبي سلمة ﷺ استعمله علي بن أبي طالب ﷺ على البحرين وفارس ثم عاد إلى المدينة وتوفي بها. وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ كان واليًا لعلي بن أبي طالب ﷺ على مصر، ثم رجع إلى المدينة ولزمها حتى توفي بها. وكان البراء بن عازب الأنصاري ﷺ قد ذهب إلى الكوفة وابتنى بها دارًا ثم رجع إلى المدينة ومات بها. وثابت بن زيد الأنصاري ﷺ كان قد نزل البصرة واختط بها ثم قدم المدينة وبقي فيها إلى أن مات. وربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي ﷺ كان من أصحاب الصُّفَّة ولم يزل مع النبي ﷺ إلى أن قُبِضَ فخرج من المدينة إلى بلاد قومه بلاد أسلم على بريد من المدينة ثم رجع إلى المدينة ومات بها في أيام الحرة. وسلمة بن الأكوع الأسلمي ﷺ كان يسكن المدينة، فلما قُتل عثمان ﷺ خرج إلى الربذة فسكنها ثم عاد إلى المدينة وتوفي بها. وكعب بن عجرة ﷺ كان ساكنًا في الكوفة ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها. ومحجن بن الأدرع الأسلمي ﷺ كان يسكن البصرة وهو الذي خط مسجدها، ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها. ومسلمة بن مخلد الأنصاري ﷺ كان ذهب إلى مصر، فنزلها، ثم عاد إلى المدينة ومات بها. وأبو مسعود الأنصاري ﷺ كان في الكوفة، ثم رجع عنها إلى المدينة ومات بها، وغيرهم كثير. (ينظر تراجم هؤلاء الصحابة المذكورين، وما نقلت عنهم في كتاب: عنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة، لمؤلفه: مصطفى بن محمد بن عبد الله الرافعي).

المسجد النبوي

كان من أول وأهم الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في المدينة بناء مسجده، في قطعة الأرض التي بركت فيها ناقته عندما وصل إلى المدينة، وقد شارك النبي ﷺ في أعمال البناء بنفسه، فكان ينقل اللَّبِن والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان هذا مما يزيد نشاط الصحابة في البناء حتى إن أحدهم ليقول:

لئن قعدنا والنبي يعملُ
لذاك منا العمل المضللُ

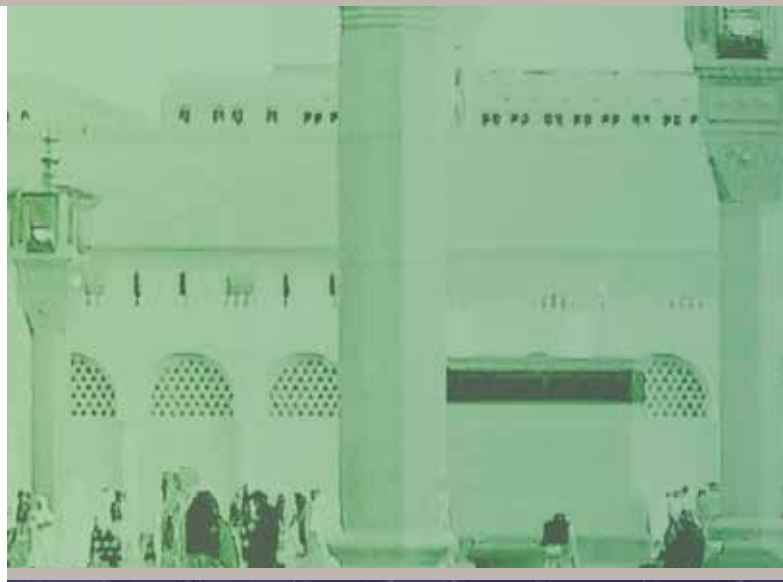

المسجد في عهد النبوة:

جُعِل أساس المسجد من حجارة ارتفاعها ثلاثة أذرع تقريبًا، وحيطانه من اللَّبِن، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من الجريد.

وكان للمسجد النبوي في بداياته ثلاثة أبواب؛ الأول في الجنوب -عندما كانت القبلة إلى بيت المقدس شمالًا- والثاني في الشرق ويسمى باب النبي وباب آل عثمان أيضًا، واشتهر بعد ذلك بباب جبريل، والثالث غربًا ويعرف اليوم بباب الرحمة، وعندما حولت القبلة إلى الكعبة، أُغلِق الباب الجنوبي واستبدل به باب آخر إلى الشمال.

وقد قدر ارتفاع جدران المسجد بمترين، وطوله بـ ٣٥ مترًا، وعرضه بـ ٣٠ مترًا، فصارت مساحته الكلية ١٠٥٠ مترًا مربعًا، زيدت إلى ١٤٢٥ مترًا مربعًا في السنة السابعة للهجرة بعد فتح خيبر، وكانت له في خلفيته منطقة مظللة لإيواء الفقراء وعابري السبيل يقال لها الصُّفَّة.

وقد شهد المسجد النبوي العديد من عمليات التوسعة والترميم عبر أكثر من ألف وأربعمئة سنة، بدءًا من عهد الخلفاء الراشدين مرورًا بعهود الأمويين والعباسيين والعثمانيين إلى أن وصلنا إلى العهد السعودي حيث شهد المسجد أكبر توسعة في تاريخه، كما سيأتي.

فضله:

المسجد النبوي واحد من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال بقصد العبادة إلا إليها؛ لعظيم فضلها ومكانتها عند الله تعالى، قال النبي ﷺ: «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد الأقصى» (البخاري: ١٨٦٤)، وهو ثاني الحرمين الشريفين بعد الحرم المكي، وثاني أفضل المساجد بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وقد شهد له رسول الله ﷺ، أنه مسجد أسس على التقوى؛ قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة:١٠٨)، وسئل النبي ﷺ: أي المسجدين الذي أُسس على التقوى؟ فأخَذ كفًّا من حَصًى حصباء فضرَب به الأرضَ، ثم قال: (هو مسجدكم هذا) لِمَسْجِدِ المدينةِ (مسلم ١٣٩٨)، وفي رواية: (هو مسجدي هذا). (صحيح ابن حبان ١٦٠٤)

وقد بين النبي ﷺ فضل المسجد النبوي ومضاعفة أجر الصلاة فيه بقوله: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام». (مسلم: ١٣٩٤)

كما أن فيه مكانًا فيه مزيد فضل، وهو المسمى بالروضة، وقد حددت معالمه ووضعت علامات عليها، قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». (البخاري: ١١٩٥)

هذا المسجد المتواضع البناء كان ذا شأن عظيم في تاريخ الإسلام، فلم تقتصر وظيفته على أداء الصلوات فيه، بل كان مدرسة تخرَّج فيها الرعيل الأول من المسلمين، حملة لواء الإسلام ودعاته، ومكانًا تُعقد فيه الجلسات لمناقشة الأمور العامة التي تتصل بحياة المسلمين ودينهم ودولتهم، وفيه استقبل الرسول ﷺ وفود القبائل وسفراء الملوك والأمراء.

أحكام المسجد النبوي:

ينبغي للوافدين إلى المدينة والمسجد النبوي الشريف استشعار عظمة هذه البقعة، وأنها -بعد مكة المكرمة- خير البقاع، وأشرف الأماكن والأصقاع، فلابد من معرفة حقّها، ومراعاة حرمتها وقدسيتها، والتأدب فيها بأحسن الآداب، وقد توعد الله من أحدث فيها بأشدِّ العذاب، فعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدِثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا) (أخرجه البخاري ١٨٦٧، ومسلم ١٣٧٠)، وتعظم الحرمة حين تكون في مسجد الرسول ﷺ.

وإن من أعظم الإحداث في المدينة إتيان البِدَع والمحدَثات فيها، وتعكيرها بالخرافات والخزعبلات، وقد وجه النبي ﷺ أمته للزوم الوسطية وعدم الغلو في الدين -ولو كان بدافع المحبة لله ورسوله- فالحب حقًّا هو في اتباع النبي ﷺ وعدم الابتداع أو مخالفة هديه.

وأحكام المسجد النبوي تشترك فيها المساجد الأخرى غالبًا، إلا بعض المسائل التي ينفرد فيها عن غيره من المساجد، وهذه المسائل منها ما يعم كامل المسجد، ومنها ما يختص ببقاع محددة منه.

أحكام عموم المسجد:

١. مشروعية السفر من أجل الصلاة في مسجد النبي ﷺ:

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدي هذا، ومسجد الحرامِ، ومسجد الأقصى). (أخرجه البخاري ١١٨٩، ومسلم ١٣٩٧)

٢. صحة الصلاة فيه مع وجود القبر:

تصح الصلاة في المسجد النبوي مع وجود القبر فيه بلا خِلاف؛ لأنّه مسجد أُسِّس على تقوى الله، والنبيّ لم يُدفَن فيه، وإنّما دُفِن في حُجرة زوجته عائشة المُحاطَة بثلاثة جُدران في زاوية بعيدة عن القِبلة قليلًا، ويُشار إلى أنّ المسلمين اضطرّوا إلى توسعة المسجد النبويّ في عهد الوليد بن عبد الملك، فأدخلوا القبر إليه.

٣. فضل الصلاة فيه:

قال ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام). (أخرجه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤)

شمول الفضيلة للتوسعة العمرانية:

يظن كثير من الناس أن فضل الصلاة إنما هو في المسجد القديم، الذي كان في عهده ﷺ دون الموضع الذي زاده عمر وعثمان ﷺ، وهو الزيادة التي بعد المحراب النبوي اليوم، وهذا خطأ، فلا يقال: إن هذه الزيادة ليست من المسجد، فإن صلاة الصحابة فيها دالة على أنها في حكم المسجد قطعًا، وداخلة في قول النبي ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المَسجد الحرام) (أخرجه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤)، ولا يُظَنُّ بالصحابة الكرام أنهم يتركون المكان الفاضل.

والناس اليوم يزدحمون للصلاة في موضع المسجد القديم اعتقادًا منهم أنه أفضل، فيقعون في مجموعة من المخالفات الشرعية؛ كترك وصل الصفوف وإتمام الأول فالأول، وتفويت فضيلة الصلاة في الصف الأول، ومخالفة هدي الصحابة ﷺ.

٤. كراهة رفع الصوت فيه:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات:٢-٣)؛ وحرمة النبي ﷺ بعد موته كحرمته في حياته، فينبغي غض الصوت في مسجده.

يقول السائب بن يزيد: «كنت قائمًا في المَسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!». (أخرجه البخاري ٤٧٠)

أحكام الروضة الشريفة:

الروضة الشريفة هي المكان الواقع بين بيت النبي ﷺ -حجرة عائشة ﷺ- ومنبره الشريف، وسميت الروضة بهذا الاسم لقول النبي ﷺ: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة). (البخاري ١١٣٨، ومسلم ٣٤٣٦)

وتبلغ المسافة بين المنبر والبيت نحو ٢٦,٥ مترًا، وقد حجب السور النحاسي الأصفر الدائر حول الحجرة الشريفة جزءًا من الروضة التي تلي الحجرة، ونقص منها الرواق الذي بين الأسطوانات اللاصقة بالشباك وجدار الحجرة الشريفة، فبقي طول الروضة من المنبر الشريف إلى السور النحاسي ٢٢ مترًا، وعرضها ١٥ مترًا، وقد رُخِّمَت أساطين الروضة الشريفة برخام أبيض إلى حد النصف منها في عهد السلطان سليم خان بن عبد الحميد، ليكون ذلك علامة لحد الروضة الشريفة، وقد رمم هذا الرخام أكثر من مرة. (تاريخ المسجد النبوي الشريف لـ د. محمد إلياس عبد الغني ١١٦)

ويتعلق بهذا الموضع من المسجد بعض الأحكام الشرعية، منها:

١. الندب والترغيب لعمارة هذا الموضع بالعبادة:

قال النبي ﷺ: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) (البخاري ١١٣٨، ومسلم ٣٤٣٦)، وهذا الوصف يقتضي ملازمتها بالعبادة والطاعة (المفاضلة في العبادات ٦٧٠)، وقد أوضح العلماء أنّ الصلاة في الروضة الشريفة مستحبّة للإنسان المسلم، سواء أكانت صلاة فريضة أم نافلة، وكذلك يستحبّ الجلوس فيها للدعاء، والذكر، والاعتكاف، وقراءة القرآن، ونحوه من العبادات والطاعات، وذلك لما فيها من مضاعفة الأجر والثواب.

والبقاع الفاضلة تتفاضل في أجزائها، وتفضيل الروضة الشريفة على سائر المسجد النبوي إنما هو بنص من الشارع الحكيم.

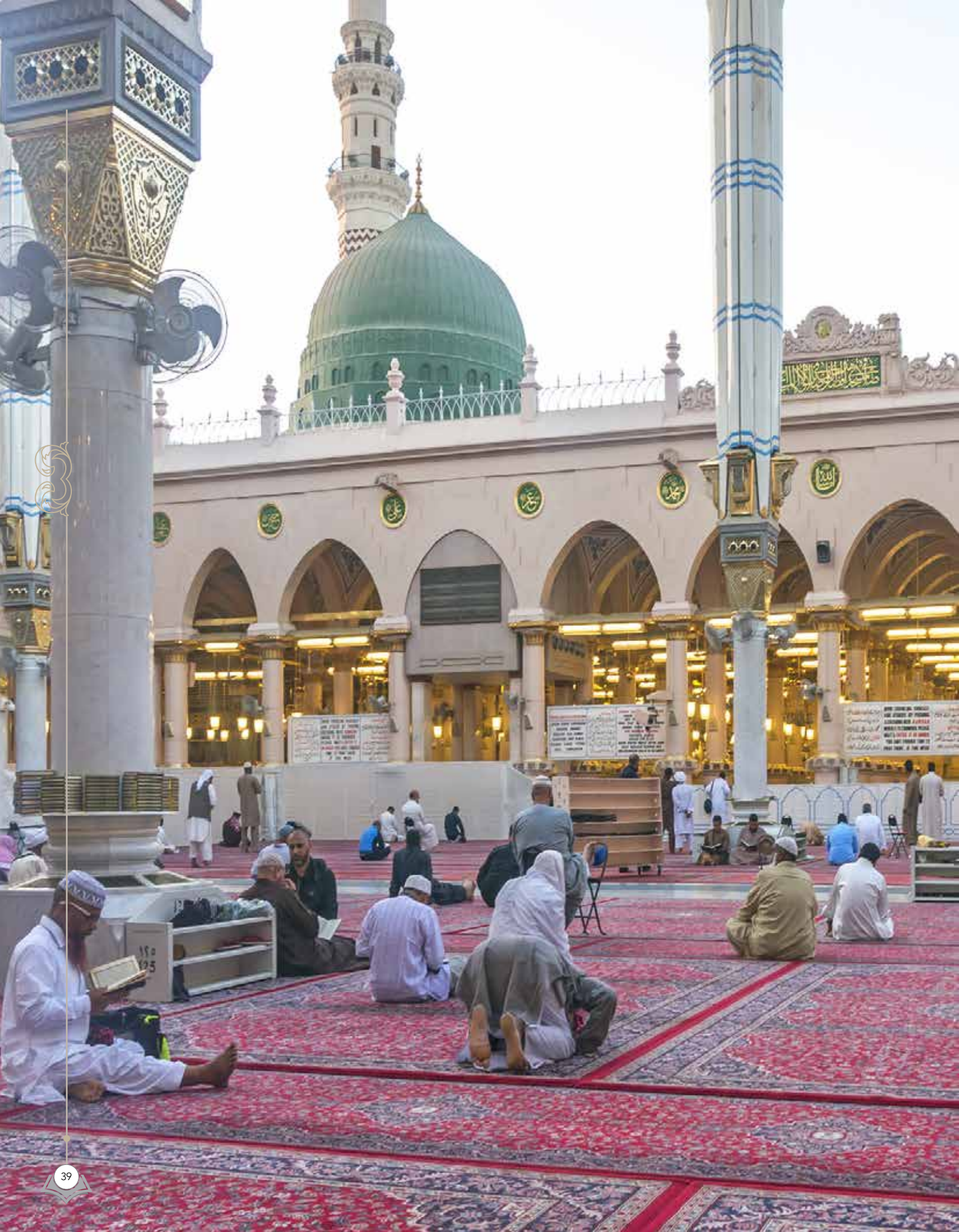

٢. المنع من مزاحمة الناس وإيذائهم:

مزاحمة الناس وإيذاؤهم من أجل الوصول إليها، والصلاة فيها، ينافي حرمة المسجد النبوي، فإيذاء الناس حرام، والصلاة في الروضة مستحبة، فلا ينبغي للمسلم أن يرتكب الأمر الحرام من أجل فعل الأمر المستحبّ، يقول ﷺ: (المسلم من سلِم المسلمون من لسانِه ويده). (أخرجه البخاري ٦٤٨٤)

أحكام الحجرة الشريفة:

والمقصود بها حجرة أم المؤمنين عائشة ﵂، ففيها دُفِن النبي ﷺ ثم صاحباه أبو بكر وعمر ﵄، وحول الحجرة الشريفة بناء يحيط بها يمنع من رؤيتها، ويُسمَّى هذا البناء «الحائز المخمس»، بناه عمر بن عبد العزيز، وجعله على خمسة جدران ترتفع عن أرض المسجد نحو ستة أمتار ونصف، وليس له باب ولا سقف (تاريخ المسجد النبوي الشريف ١٦٧-١٧١) ، وفي عام ٦٦٨هـ أقام الظاهر بيبرس مقصورة خشبية ذات حواجز ولها ثلاثة أبواب، وفي عام ٦٩٤هـ زاد الملك العادل زين الدين كتبغا على حاجز المقصورة حتى أوصله الى سقف المسجد، وفي عام ٨٨٧هـ في عهد السلطان قايتباي، جعلت للمقصورة الشريفة نوافذ من النحاس من جهة القبلة في أعلاها شبك من النحاس أيضًا، أما في الجهات الشمالية والشرقية والغربية فقد جعلت للمقصورة نوافذ من الحديد في أعلاها أشرطة من النحاس وفيها ٧٦ طاقة. (موقع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي)

ويتعلق بالحجرة الشريفة مسائل، منها:

١. مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والندب إليها:

أجمع العلماء على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وجرى عمل المسلمين على ذلك (ينظر عمدة القاري ٥/٧٠)، ومن الأدلة على مشروعيتها حديث معاذ ﵁، حين قال له النبي ﷺ: (يا معاذ إنك عسى ألا تلقانِي بعد عامي هذا، ولعلك أنْ تَمُرَّ بِمسجدي هذا وقبري). (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢٢٣)

وكان السلف يزورون قبر النبي ﷺ، ومن ذلك ما اشتهر عن ابن عمر ﵄ من السلام على قبر النبي ﷺ عند قدومه من سفر أو عند سفره. (أخرجه مالك في الموطأ ١/١٦٦)

٢. عدم مشروعية شدِّ الرحال لزيارة القبر الشريف:

شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ منهي عنه؛ حيث إنه لا تشد الرحال للعبادة إلا إلى ثلاثة مساجد، فعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) (أخرجه البخاري ١١٨٩، ومسلم ١٣٩٧)، ولا تعارض بين هذا وبين مشروعية زيارة قبره ﷺ، فمن أراد السفر للمدينة فإنه ينوي زيارة المسجد النبوي لا القبر الشريف، فإذا وصل المسجد وصلى فيه استحب له أن يزور القبر بعد ذلك.

٣. غض الصوت عند قبر رسول الله ﷺ:

وهذا إن كان عامًّا في كل المسجد لحديث السائب ابن يزيد المتقدم، فإنه يتأكد عند زيارة القبر الشريف، أدبًا مع رسول الله ﷺ وتعظيمًا لحرمته ميتًا، كما أنه عظيم الحرمة حيًّا، بأبي هو وأمي.

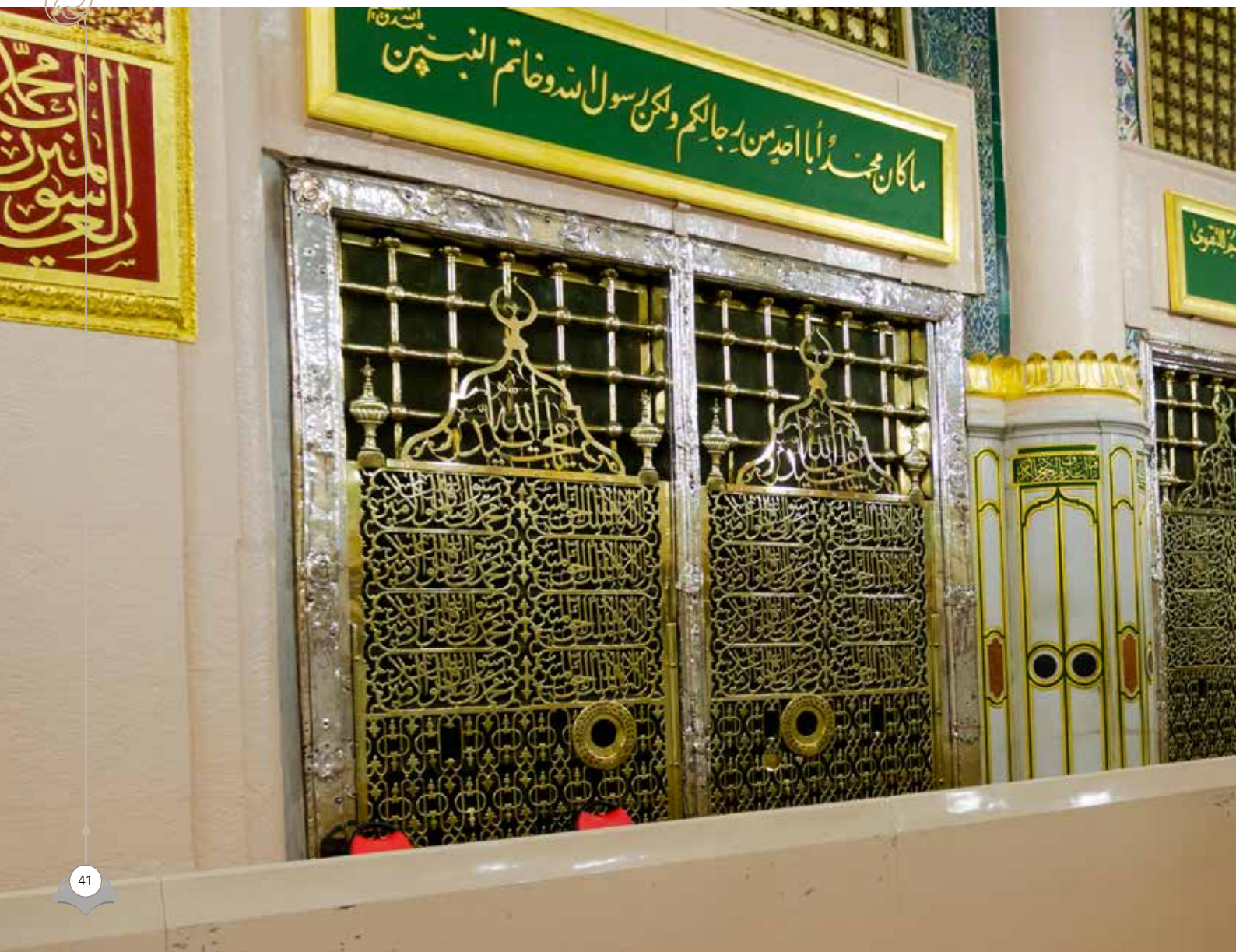

أحكام المنبر النبوي:

كان النبي ﷺ يخطب قائمًا ويستند إلى جذع نخلة منصوب في المسجد، فلما كثر الناس في مسجده وصاروا لا يرونه صُنع له المنبر، ووضع في الجانب الغربي من مُصَلَّاه ﷺ. (البداية والنهاية ٥٤٠/٤)

وكان منبره ﷺ على ثلاث درجات، وزاد فيه معاوية ﷺ حتى صار تسع درجات، ثم غير مرات عديدة، إلى أن أرسل السلطان مراد الثاني سنة ٩٩٨هـ منبرًا مصنوعًا من المرمر وظاهره مغمور بالتذهيب وبالنقوش، وفوقه قبة قائمة على أربعة أعمدة مضلعة من المرمر، ووضع هذا المنبر في موضع منبر رسول الله ﷺ غربي المحراب النبوي، وبه اثنتا عشرة درجة، وهذا المنبر هو الموجود الآن بالمسجد النبوي. (تاريخ المسجد النبوي الشريف ١١٩-١٢٠)

ومن الأحكام المتعلقة بالمنبر:

١. فضله:

قال ﷺ: (ومنبري على حوضي) (البخاري ١١٩٦، ومسلم ١٣٩١)، قال العلماء: معناه أن هذا المنبر يعاد بعينه على حاله فينصب عند حوضه، وقيل: معناه أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض ويقتضي شربه منه.

٢. تغليظ الحلف باليمين الكاذبة عنده:

فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحْلِفُ أحدٌ عند مِنْبَرِي هذا على يَمينٍ آثِمَة، ولو على سِواكٍ أَخْضَرَ، إلا تَبَوَّأَ مَقْعَدَه مِن النار -أو وَجَبَتْ له النار-). (أبو داود ٣٢٤٦ وابن ماجه ٢٣٢٥)

فلما كان هذا المكان محل تعظيم، ومحل تذكر لما كان يقوله ﷺ على هذا المنبر، وجاء هذا الحالف بأضداد هذه الأوصاف؛ استحق هذا الوعيد. واليمين الآثمة موجبة للسخط حيث وقعت، ولكنها في الموضع الشريف أكثر إثمًا.

فائدة

لا يكون الجماد خيرًا منا!

عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار (وفي رواية: فصاحت النخلة صياح الصبي) حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت» (البخاري ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، وكان الحسن البصري يقول: يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه، أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟ (البداية والنهاية ٥٤١/٤)

ومما ينبغي أن يُعلَم، أن ما يجده المسلمون من شوق للنبي ﷺ ورغبة في لقائه، لا ينبغي أن يبقى مجرد مشاعر وإن كانت حارَّةً جيَّاشة! بل لا بد أن يدفع للعمل الذي يقرب منه ﷺ في الآخرة، ففي الحديث: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». (الترمذي ٢٠١٨)

الزيارة المشروعة وآدابها:

أجمع المسلمون على استحباب زيارة المسجد النبوي، والتقرب فيه إلى الله عز وجل بمختلف الطاعات المشروعة، ولهذه الزيارة أحكام وآداب ينبغي للزائر أن يراعيها، وقد سبق الكلام عن بعض الأحكام، وفيما يلي نعرض لبعض آداب الزيارة ومستحبَّاتها، فمنها:

١. أن ينوي الزائر التقرب إلى الله بالصلاة في مسجد النبي ﷺ؛ لفضل ثواب الصلاة فيه.

٢. أن يتطهر قبل الدخول إلى مسجده ﷺ، فينظف بدنه ويلبس أحسن ثيابه ويتطيَّب.

٣. أن يستشعر في قلبه أنه في أشرف بقاع الأرض بعد المسجد الحرام.

٤. أن يقول عند دخول المسجد النبوي الشريف: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله، اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك».

٥. أن يبدأ بعد دخوله بركعتي تحية المسجد، ويحرص على أن يصلي الصلوات المفروضة كلها في مسجد رسول الله ﷺ، ويكثر من النوافل وتلاوة القرآن والدعاء والذكر.

٦. أن يزور قبر النبي ﷺ: فبعد أن يُصلي في المسجد النبوي أول قدومه ما شاء الله أن يُصلي، يستحب أن يذهب للسلام على النبي ﷺ، وعلى صاحبيه أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما، فيقفُ أمامَ قبر النبي ﷺ مُستقبلًا له، فيقول: السلامُ عليك أيها النبي ورحمةُ الله وبركاته، وإن زاد شيئًا مناسبًا فلا بأس، مثل أن يقول: السلامُ عليكَ يا خليل الله وأمينه على وحيه، وخيرتَه من خلقِهِ، أشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونَصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده.

ثم يخطو خطوةً عن يمينه ليكون أمام أبي بكر رضي الله عنه فيقول: السلام عليك يا أبا بكر، السلامُ عليك يا خليفةَ رسول الله ﷺ في أُمَّته، رضي الله عنك وجزاك عن أُمة محمدٍ خيرًا.

ثم يخطو خطوةً عن يمينه ليكونَ أمام عُمَرَ رضي الله عنه فيقول: السلامُ عليك يا عمر، السلام عليك يا أمير المؤمنين، رضي الله عنك وجزاكَ عن أُمّة محمدٍ خيرًا.

ومن المواضع التي يستحب زيارتها أيضًا:

١. مقبرة البقيع:

وهي مقبرة أهل المدينة، وتقع جنوب شرقي المسجد النبوي الشريف، كانت خارج عمران المدينة والآن أصبحت داخله بعد التوسع العمراني. تضم أرض البقيع قبور العديد من الصحابة ﷺ، ومنهم: عثمان بن عفان، وأمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ ومرضعته، وقد كان النبي ﷺ يخرجُ من آخرِ الليل إلى البقيعِ، فيقولُ: «السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما تُوعَدون، غدًا مُؤجّلون، وإنّا إنْ شاء اللّه بكم لاحقون، اللّهم اغفرْ لأهلِ بقيع الغرقد». (مسلم: ٩٧٤)

٢. مسجد قباء:

ويقع على بعد ٣,٥ كيلومتر من المسجد النبوي الشريف، وهو مقدار نصف ساعة بالمشي المعتدل. وقد بناه النبي ﷺ في طريق هجرته قبل أن يصل إلى المدينة، وجددت عمارته مرات كثيرة، إلى أن بني ووسع في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، تبلغ مساحة مبانيه الآن ٥٨٦٠ مترًا مربعًا، وبه ٤ مآذن و٥٦ قبة.

يستحب للمسلم أن يزور مسجد قباء ويصلي فيه؛ فقد كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشيًا وراكبًا، فيصلي فيه ركعتين (البخاري: ١١٩٣-١١٩٤)، وكان يقول: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة». (ابن ماجه: ١٤١٢)

٣. مقبرة شهداء أُحُد:

وتقع في قاعدة جبل أحد على بعد نحو ٥كم شمال المدينة، وهي التي دفن فيها ٧٠ صحابيًّا استشهدوا في معركة أُحُد المشهورة، وقد زارهم النبي ﷺ في آخر حياته، بعد ثماني سنين من الغزوة ودعا لهم، ثم جاء وخطب خطبة في المسلمين كالمودع للأحياء والأموات. (البخاري: ٤٠٤٢)

التنبيه على بعض مخالفات الزيارة:

يأتي الزائر للمدينة المنورة ممتلئًا بالشوق والمشاعر الفيَّاضة، يأتي وهو يطمع في رحمة الله وعفوه وكرمه، يأتي وكله أمل أن يزداد من الحسنات وأن تكفَّر عنه الخطايا والزلَّات، فينبغي له أن يحذر أشدَّ الحذر من الوقوع في المخالفات الشرعية.

وإن مما يعين المسلم على ذلك، أن يتذكر أنه في الأرض التي سار على ثراها أفضل الخلق، والتي ضم باطنها جسده الطاهر، فليحفظ لهذا النبي الكريم حرمته، وليتجمل بالحياء منه!

وإن مما يعينه على ذلك أيضًا، أن يتذكر أن السيئة في المدينة ليست كالسيئة في غيرها، وأنَّ النبي ﷺ قد دعا على من أحدَث فيها حدَثًا.

ومما يجب الحذر منه عدد من المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض الزوار، ومنها:

١. **السفر وشد الرحال إلى قبر النبي ﷺ**، فهذا منهي عنه؛ إذ لا تشد الرحال للعبادة إلا إلى ثلاثة مساجد، وإنما المشروع -كما مرَّ قريبًا- أن ينوي المسلم السفر للمسجد النبوي لا للقبر، فإذا صلى في المسجد، استحب له زيارة القبر الشريف والسلام على صاحبه، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٢. **دعاء الرسول أو نداؤه** أو الاستغاثة به أو الاستعانة به، وهذه كلها من الأفعال الشركية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢). وقد كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله).

(أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩)

٣. **الصلاة إلى القبر أو الطواف به** أو السجود له قاصدًا القبر والتقرب إلى النبي ﷺ، فهذا شرك بالله تعالى، قال النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (أحمد ١٢/ ٣١٤)، وقال أيضًا: (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر). (أحمد ٣/ ١٥٨)

٤. **الطواف بقبر النبي ﷺ** تقربًا إلى الله عز وجل، فهذا لا يجوز؛ لأن الطواف عبادة لا تصلح إلا حول الكعبة.

٥. **دعاء الله عند القبر**، وقد روي أن علي ابن الحسين رضي الله عنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: «ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ: (لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم) (أبو داود ٢٠٤٢)، فإذا أراد أن يدعو فإنه يبتعد عن القبر ويستقبل القبلة ويدعو.

٦. **التكرار والإكثار من زيارة قبره ﷺ**، وفي هذا مخالفة لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تتخذوا قبري عيدًا)، والمعنى: لا تجعلوا قبري محلًّا لاعتياد المجيء إليه متكررًا تكرارًا كثيرًا، فلهذا قال: (وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم).

٧. **التمسح بالقبر** أو بشيء آخر؛ فالمسح والاستلام عبادة اختص بها الحجر الأسود والركن اليماني، فعن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أنه كان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بقَبر النبيِّ ﷺ فصلَّى عليه وسلَّمَ، ودعا له، ولا يمَسُّ القبرَ، ثم يُسلِّم على أبي بكر..». (أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٤١٥٠) وثبَت عن ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما بإسنادٍ صحيحٍ، أنه « كان يَكرَهُ مَسَّ قَبرِ النبيِّ ﷺ ». (معجم الشيوخ ١/ ٤٥)

٨. **رفع الصوت عند قبر الرسول** عليه الصلاة والسلام، لما فيه من سوء الأدب ومخالفة نهي الله جل وعلا عن رفع الصوت عند رسول الله ﷺ.

٩. **زيارة بعض معالم المدينة المنورة** -التي لم يرد في زيارتها فضل أو أثر عن النبي ﷺ- على وجه التعبد والتقرب إلى الله عز وجل، فهذا من البِدَع المحدَثة.

ولا شك أن كل ما ذكر آنفًا مما لم تأتِ به السنة أو كان مخالفًا لهدي النبي ﷺ، فإنه يدخل في الوعيد الشديد: «فمن أحدث فيها حَدَثًا، أو آوى مُحْدِثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل» (البخاري: ٦٧٥٥)، ويدخل في قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد». (البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨)

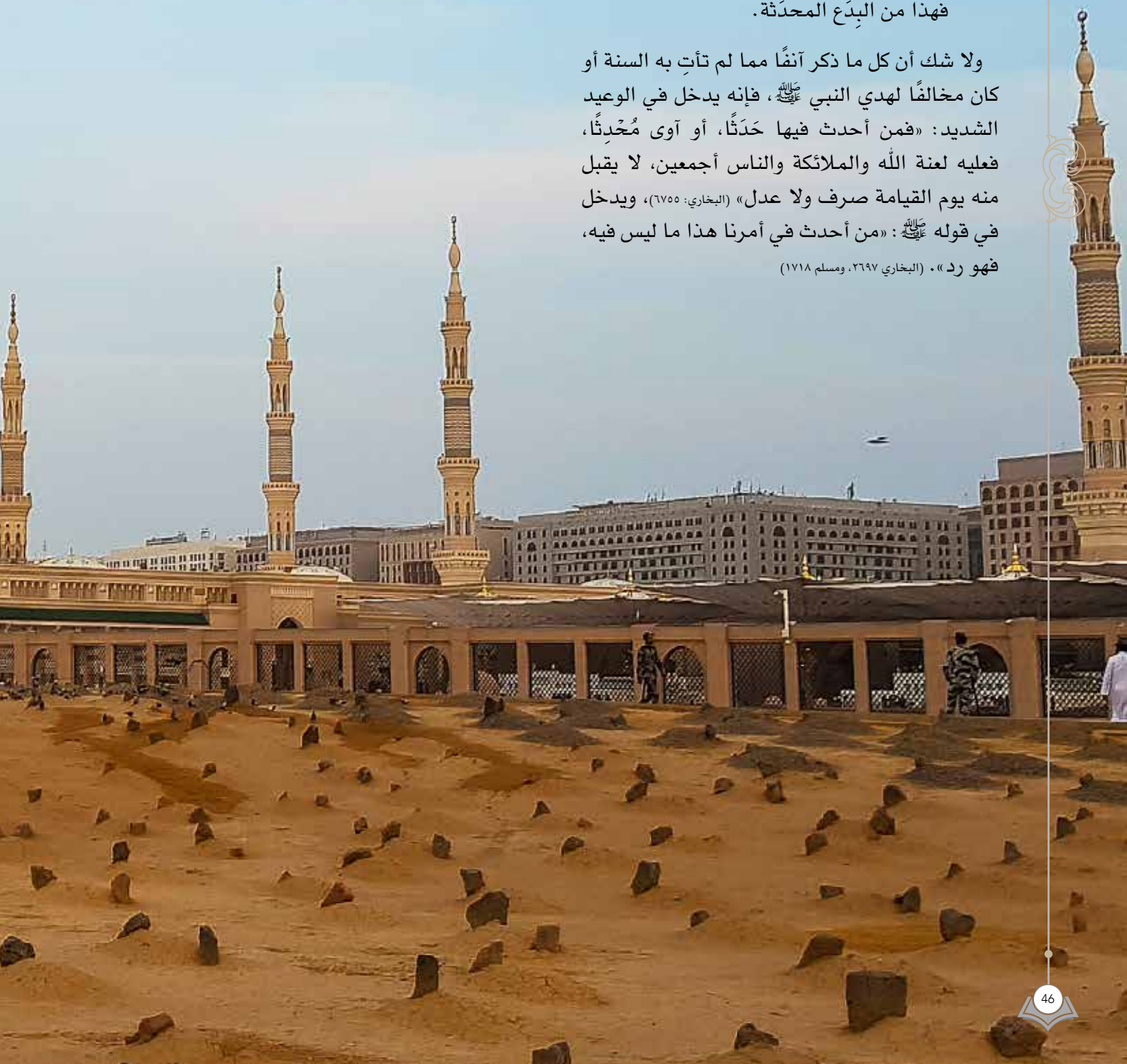

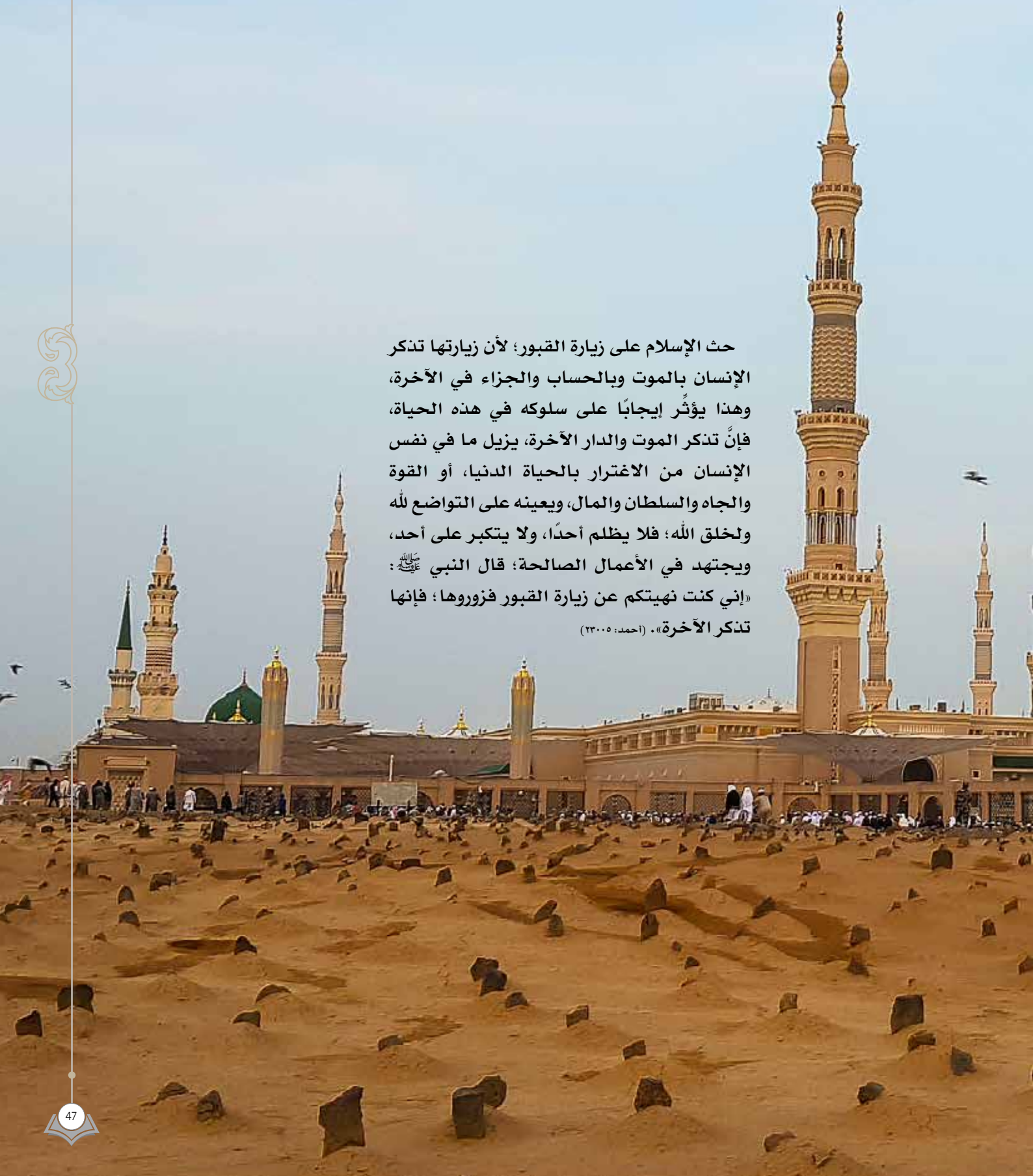

حث الإسلام على زيارة القبور؛ لأن زيارتها تذكر الإنسان بالموت وبالحساب والجزاء في الآخرة، وهذا يؤثِّر إيجابًا على سلوكه في هذه الحياة، فإنَّ تذكر الموت والدار الآخرة، يزيل ما في نفس الإنسان من الاغترار بالحياة الدنيا، أو القوة والجاه والسلطان والمال، ويعينه على التواضع لله ولخلق الله؛ فلا يظلم أحدًا، ولا يتكبر على أحد، ويجتهد في الأعمال الصالحة؛ قال النبي ﷺ: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة». (أحمد: ٢٣٠٠٥)

معالم
المدينة المنورة

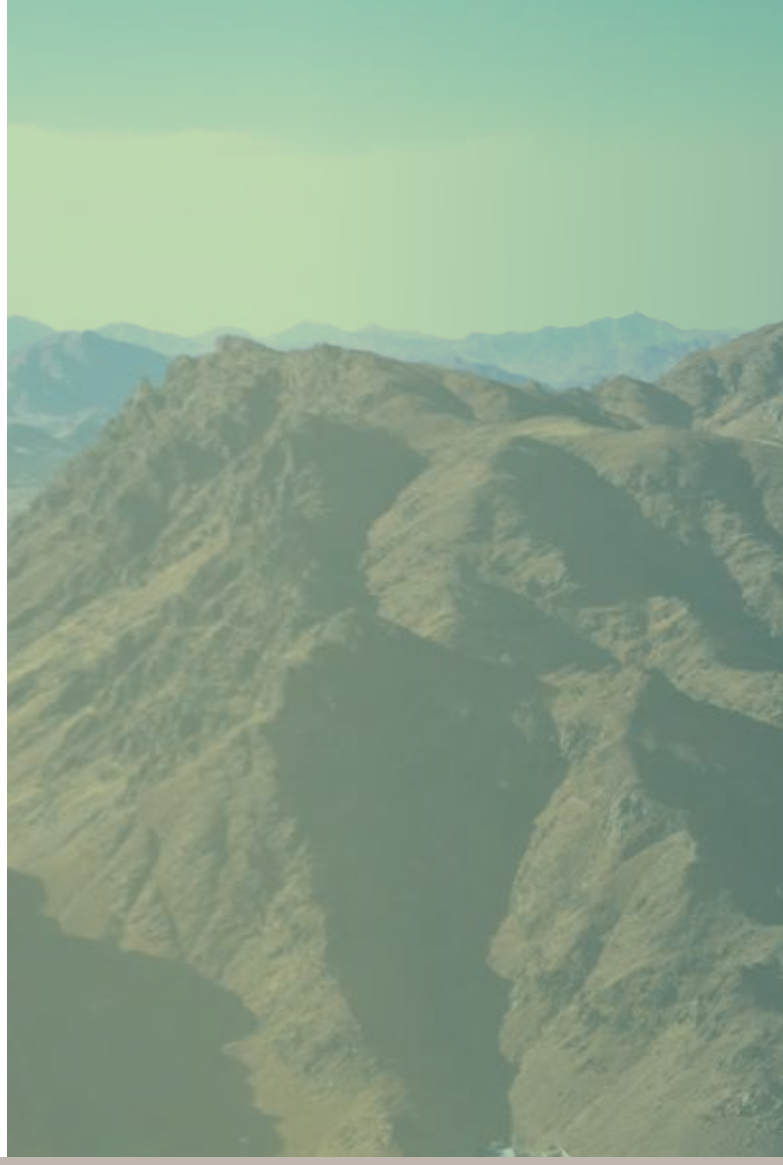

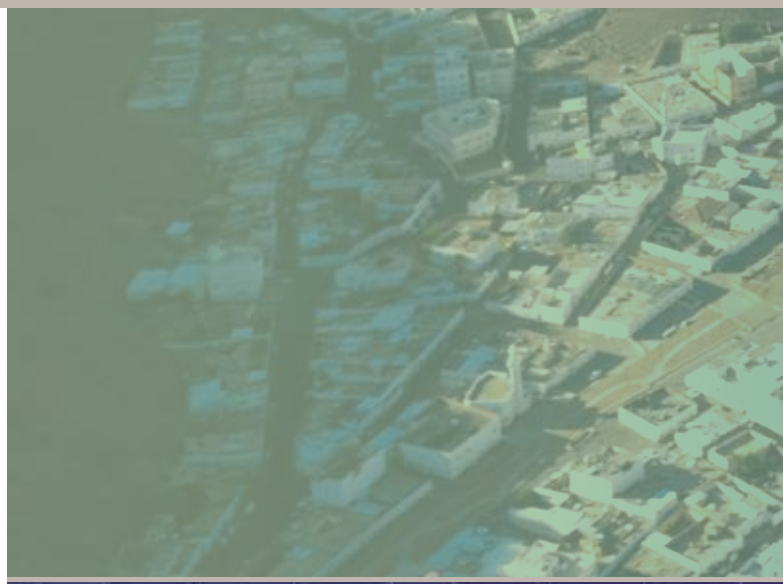

يوجد في المدينة المنورة العديد من المعالم المميزة، بعضها من بديع صنع اللّه عز وجل؛ كعدد من الجبال والحرَّات، وبعضها من صنع الإنسان عبر التاريخ الإسلامي منذ الهجرة وحتى العصر الحاضر؛ كالمساجد والمكتبات وغيرها، وفيما يلي نعرض لبعض أشهر معالمها.

ميقات أهل المدينة (ذو الحُلَيْفَة):

ذو الحليفة مكان يبعد عن المدينة حوالي ١٤ كيلو متر، على الجانب الغربي من وادي العقيق الذي قال فيه النبي ﷺ: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة» (البخاري: ١٥٣٤)، ويسمى الآن بآبار علي، وقد جعله النبي ﷺ ميقاتًا لأهل المدينة، يُحْرِمون منه إذا أرادوا الحج أو العمرة.

وقد بُنِي مسجد قريبًا من مكان صلاة النبي ﷺ في هذا الوادي، وجُدِّد عدة مرات، أهمها التجديد الذي تم في العهد السعودي؛ فقد بُني على شكل مربع مساحته ٦,٠٠٠ م٢، ويتكون من مجموعتين من الأروقة تفصل بينهما ساحة واسعة مساحتها ألف م٢، وله أقواس تنتهي بقباب طويلة يبلغ ارتفاعها عن الأرض ١٦م، ويتسع المسجد لـ ٥٠٠٠ مصلٍّ على الأقل، وللمسجد مئذنة متميزة على شكل سلم حلزوني ارتفاعها ٦٢م.

وتتصل بالمسجد مباني الإحرام والوضوء، كما بُنِيَت من جهته الشرقية سوق لتأمين حاجات الحجاج والمعتمرين، وأنشئت في الجهة الغربية منه مواقف سيارات وحديقة نخل واسعة، فأصبح المكان محطة متكاملة لخدمة الحجاج والمعتمرين.

الإحرام.. روحانيته وحكمته

شرع الله الإحرام لمن أراد العمرة أو الحج، وفيه إظهار لتذلل العبد إلى ربه وافتقاره إليه وتواضعه له؛ بالتجرد من الثياب الفاخرة، والمنع من أسباب الزينة، وإظهار الشعث، وترك الرفث، وفيه استشعار للتساوي بين البشر الذين هم جميعًا لأب واحد وخلقوا من تراب، فإنه لا فرق بينهم في ملابس الإحرام بين غني وفقير، وعبد وأمير، وفيه استحضار للقيامة؛ بلبس البياض الذي يشبه الكفن، فإن الموت هو القيامة الصغرى.

والإحرام مبدأ النُسُك والعبادة، فهو للحج أو العمرة كتكبيرة الإحرام للصلاة؛ فكما يَحْرم بعد التكبيرة ما كان مباحًا قبلها من كلام الناس والأكل والشرب وغيره، فكذلك المُحْرِم يترك بعد الإحرام ما كان مباحًا له من قبل، من لبس المخيط وقص الشعر والأظافر والجماع.

والإحرام من المواقيت زيادة في شرف البيت وفضله، فقد جعل الله لبيته الحرام حرمًا آمنًا (حدود الحرم)، وأكد ذلك وقواه بأن جعل لحرمه حرمًا وهو المواقيت المعروفة؛ فلا يدخل من أراد النسك إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين، ونية معينة؛ تعظيمًا لله، وتكريمًا وتشريفًا لبيته وحرمه، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

جبال المدينة:

١. جبل أُحُد:

جبل أحد من الجبال التاريخية ذات المكانة عند المسلمين، وهو جبل في شمال المدينة يبعد عن المسجد النبوي حوالي ٥ كيلومترات، طوله من الشرق إلى الغرب ما بين ٦ إلى ٧ كيلومترات، وعرضه ما بين ٢ إلى ٣ كيلو مترات، وارتفاع أعلى قممه يصل إلى ١٠٧٧ مترًا، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات متعددة، وتحيط به مجموعة جُبَيلات، أشهرها جبل (عينين) أو جبل الرماة، وجبل (ثَور)، وتحفه من جميع جوانبه مسايل الأودية، وتنصرف منه شعاب تنتهي إلى (المهاريس) وهي صدوع تتجمع فيها مياه الأمطار، وكان الناس يستفيدون منها سابقًا، وقد كان الجبل فيما مضى يطل على المدينة، أما الآن فقد وصل النطاق العمراني إليه.

ورد ذكر جبل أُحُد في أحاديث شريفة عديدة ومناسبات مختلفة، وقد وقعت عنده الغزوة المشهورة باسمه «غزوة أحد»، وفيه مقبرة شهداء أحد، التي دفن فيها ٧٠ من الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد دفاعًا عن المدينة.

٢. جبل عَيْنَين:

وهو المشهور عند الناس بـ(جبل الرُّماة)، وهو جبل صغير يقع في الجنوب الغربي من جبل أحد، وهو الجبل الذي أمر النبي ﷺ الرماة أن يثبتوا عليه ولا يغادروه في غزوة أحد قبل أن يأذن لهم؛ ليحموا ظهور المسلمين من تسلل المشركين. وكان عددهم خمسين راميًا، لكن كثيرًا منهم خالفوا أمره وتركوا مواقعهم، ظنًّا منهم أن المعركة قد انتهت بانتصار المسلمين؛ فاستغل المشركون خلو الجبل من الرماة فحملوا على المسلمين فقتلوا منهم عددًا كبيرًا.

٣. جبل سَلْع:

جبل مشهور بالمدينة، يقع في الشمال الغربي من المسجد النبوي، ويبعد عنه ٥٠٠-٧٠٠ متر، ويبلغ طوله كيلو متر واحد، وعرضه يتراوح بين ٣٠٠-٨٠٠ متر، وارتفاعه ٨٠ مترًا، وهو الآن داخل المدينة، فقد أحاط به العمران وامتد إلى مسافة بعيدة منه.

اكتسب الجبل أهميته التاريخية من وقوع غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) بجانبه، وبه من الآثار القديمة نقوش وكتابات على الصخور تعود إلى

القرن الأول الهجري، وهي بذلك من أقدم النقوش الإسلامية التي عثر عليها، أما المباني القديمة التي حوله فهي مبان تعود إلى العصر العثماني تقريبًا، وهي مساجد الخندق (وتسمى: مساجد الفتح، أو المساجد السبعة)، إضافة إلى بعض القلاع الباقية على قممه، وأما بقية المباني فهي مبان حديثة، ومنها مسجد بني حرام، الذي بُنِيَ -كما يقال- في مكان سكن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٤. جبل عَيْر:

ويُقال له جبل (عاير)، وهو جبلٌ أَسْوَد مستقيم القِمّة تقريبًا، يقع جنوب المدينة المنورة، وشرقيَّ وادي العَقيق قُرب ذي الحُلَيفة. يمتد الجبل لمسافة (٤ كم) بمتوسط عرض (٧٠ م)، ويطل من ارتفاع (٣٠٠ م) على وادي أبي هريرة من الشرق، وعلى الحُليفة العليا من الجنوب، ويبعُد عن المسجد النبوي الشريف بحدود (٨ كم) تقريبًا، حيث يراه المتجه إلى جدة بَعد تجاوز مسجد قباء على يساره، وهو حد حرم المدينة المنورة مِن الجهة الجنوبية.

زوار المدينة وهم يقفون على جبل الرماة ويظهر في الخلف جبل أحد

٥. جبل ثَور:

ويسميه الناس اليوم جبل (الدقّاقات)، ويقع إلى الشمال الغربي من جبل أُحد، وهو جبلٌ صغيرٌ أسمرُ اللون، كأنه ثَوْرٌ رابِضٌ، ورأسه متجه صوبَ الجنوب الغربي. يبعُد جبل ثور عن المسجد النبوي (٨) كم تقريبًا، وهو حَدُّ حرم المدينة المنورة مِن الجهة الشمالية.

٦. جبل الراية:

ويقال له (جبل ذباب)، يقع شمال المدينة المنورة وشرق جبل سَلْع، ويبعد عن المسجد النبوي الشريف بحدود كيلومتر ونصف، وهو جبل صغير أسود لا يتجاوز ارتفاعه عشرين مترًا، وهو في أول طريق العيون، وعلى هذا الجبل ضرب رسول الله ﷺ قبته للإشراف على أعمال حفر الخندق، وعليه يقع مسجد الراية.

٧. جبل قُرَيْظَة:

أو (جبل البركان) ويقع في الجنوب الشرقي من المدينة، وكان يسكن به يهود بني قريظة في عهد النبي ﷺ، ويوجد به خنادق حفرت في الحجارة البركانية المتفككة، ويقال إنها مما تبقى من حصون بني قريظة.

حِرار المدينة:

تشتهر المدينة بوجود الحِرار أو الحرَّات، وكانت توصف في الكتابات الأثرية القديمة بأنها أرض ذات حِرار. وأشهرها حرتان، هما حرة واقم، وحرة الوبرة، وقد اكتسبتا الشهرة من حديث النبي ﷺ، عندما جعلهما حدَّي حرم المدينة من الشرق والغرب.

حرة الوبرة (الحرة الغربية)

١. حرَّة واقِم:

أو (حرة بني قُرَيظة) وتسمى الآن (الحرة الشرقية) لوقوعها في الجهة الشرقية من المدينة، وهي هضبة طويلة ممتدة، فيها مجموعة تلال وأراضٍ منبسطة، وهي ذات صخور وحجارة بركانية سوداء، تجعلها شديدة الحرارة في الصيف، وتعد حديقة جيولوجية بركانية جديرة بالمشاهدة؛ لما تحتويه من صدوع وكهوف وفوهات وحجارة متناثرة بفعل البراكين في العصور القديمة.

كانت الحرة مسكونة قبل الإسلام بأشهر قبائل اليهود من بني قريظة، كما كانت تسكنها أهم البطون الأَوْسِيَّة.

٢. حرة الوَبَرَة:

وتسمى اليوم (الحرة الغربية)؛ لأنها تقع في الجهة الغربية من المدينة المنورة، وهي أقل وعورة من حرة واقم إلا أنه تكثر بها الهضبات والتلال والمرتفعات والمنخفضات والشقوق، ويتخللها مساحات منبسطة صالحة للعمران، وبها قيعان تتجمع فيها مياه الأمطار.

تفصل هذه الحرة بين المدينة والعقيق، وتمتد من مسجد القبلتين شمالًا إلى محاذاة مسجد قباء جنوبًا، وكانت تشكل حاجزًا طبيعيًّا يحمي المدينة من جهتها الغربية وجزءًا من جهتها الجنوبية.

مُدَّ خط سكة حديد الحجاز في بعض شقوقها، وفي العصر الحاضر استُصلِح قسم كبير من أراضيها، وزحف العمران إليها.

قلاع وحصون المدينة:

انتشر في المدينة في العصر القديم ما يعرف بالآطام، وهي جمع أُطُم، وهو قصر أو بيت مبني بناء قويًّا على شكل حصن صغير، فبنى أهل المدينة كثيرًا من هذه الحصون ليتحصنوا بها من الأعداء عند الضرورة، وكان يسكنها أصحابها في غير الحرب أيضًا. وقد أكثر من بنائها اليهود، وذكر الله حصونهم في القرآن الكريم في سورة الحشر، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢).

وكان عددها كثيرًا، ولكن لم يبقَ منها اليوم إلا القليل، ومنها:

١. حصن كعب بن الأشرف اليهودي:

حصن قديم جدًّا على شكل مربع مساحته ٣٥ مترًا × ٣٠ مترًا تقريبًا، وسُمك جدرانه متر، وتم بناؤه من صخور كبيرة وضخمة، إلا أن جزءًا كبيرًا من الحصن انهدم على مر العصور، والباقي منه أساسات جدرانه، ويتفاوت طول الباقي منها من ناحية إلى أخرى.

وقد شهد الحصن مقتل كعب بن الأشرف على يد محمد بن مسلمة ﷺ؛ لأنه نقض العهد مع النبي ﷺ وراح يؤذيه ويشتمه.

٢. أطم بني واقف:

وهو حصن قديم من زمن النبي ﷺ أو قبله، مساحته ٥٠م×٥٠م تقريبًا، وقد بقيت منه جدرانه الخارجية، كما توجد داخله أساسات مسجد بني واقف الوارد في بعض الأحاديث. يقع جنوب شرق مسجد قباء على بعد ٥٠٠ متر منه تقريبًا.

٣. أُطْم الضَحْيَان:

أطم الضحيان أطم عظيم كان مشيدًا بحجارة الحرة السود، طوله نحو ٢٧ مترًا في عرض ١٢ مترًا، وارتفاعه نحو ٨ أمتار، وقد تساقط وأصبح حجارة متناثرة.

بقايا حصن كعب بن الأشرف

٤. أطم صِرَار:

يقع شرق المدينة المنورة في حرة واقم قرب وادي قناة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ستة كيلو مترات، وكان طريق المسافرين إلى نجد والقادمين منها يمر بالقرب منه، وقد حفرت بجانبه بئر يستقي منها الناس، وما زالت آثار هذا الأطم موجودة حتى الآن بجوار طريق يزيد بن الأسود بن سلمة.

٥. قصر عروة بن الزبير:

هو أشهر القصور التاريخية التي بنيت على ضفاف وادي العقيق، ويقع القصر غرب المدينة المنورة على امتداد الطريق المؤدّي إلى مسجد ذي الحُليفة «ميقات أهل المدينة»، على طريق جدة ومكة القديم من طريق آبار علي، ويبعد عن المسجد النبوي الشريف قرابة ٣,٥ كم.

فائدة

الفاروق مع المرأة الفقيرة

بهذا المكان المسمى «صرار» حدثت قصة لعمر بن الخطاب ﷺ، الذي كان يخرج بنفسه ليرى حاجة رعيته، يقول أسلم مولى الفاروق: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم حتى إذا كان بصرار إذا نار، فقال: يا أسلم، إني لأرى هاهنا ركبًا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صِبيان، وقِدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون.

فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار. فقالت: وعليك السلام، فقال: أَدْنُو؟ فقالت: ادْنُ بخير أو دَعْ. قال: فدنا، وقال: ما لكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع. قال: فأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء، أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر. قال: رحمكِ الله! وما يُدرِي عمرَ بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟!

قال: فأقبل عليّ، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلًا من دقيق، وكبة شحم، فقال: احمله عليّ. فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة، لا أمَّ لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذري علي وأنا أُحَرّك لك، وجعل ينفخ تحت القدر، ثم أنزلها فقال: ابغني شيئًا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أَسْطَح لهم (أَي أَبْسُطه حتى يَبْرُدَ) فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلتْ تقول: جزاك الله خيرًا، كنتَ أَوْلى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيرًا، إذا جئتِ أميرَ المؤمنين، وجدتني هناك إن شاء الله. ثم تنحَّى عنها ناحية، ثم استقبلها فربض مربضًا. فقلتُ: إن لك شأنًا غير هذا. فلا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون، ثم ناموا وهدؤوا. فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت. (فضائل الصحابة لأحمد: ٣٨٢).

بقايا أطم صِرار

آبار المدينة:

كان في المدينة زمن النبي ﷺ العديد من الآبار، وقد درست معالم بعضها أو نسي مكانها، أو دخلت في توسعة المسجد النبوي (مثل: بيرحاء، بضاعة، بصة، أريس)، ومن الآبار المعلومة اليوم:

١. بئر رُوْمَة:

تسمى (بئر عثمان)، وهي بئر حفرت قبل العصر الإسلامي، كان يملكها يهودي ويبيع ماءها، وكان المسلمون يحبون ماءها لعذوبته، فحث النبي ﷺ على شرائها ووقفها على المسلمين، فاشتراها عثمان رضي الله عنه وأوقفها، فسميت باسمه.

تقع البئر داخل بستان بحي سلطانة (شارع أبي بكر الصديق)، ويقدَّر عمقها بحوالي ٣٧ مترًا، فيما يصل قطرها إلى ٤ أمتار، ويبلغ مستوى الماء ٢٩ مترًا تقريبًا، وما زال ماء البئر عذبًا إلى الآن ويروي مئات أشجار النخيل، وقد أغلقت فتحتها الأصلية، ويستفاد من مياهها عبر فتحة أخرى.

بئر عثمان رضي الله عنه وما زال ماؤها عذبًا إلى اليوم

٢. بئر اليسيرة:

وتسمى (بئر العهن)، كانت تعرف في الجاهلية ببئر العسيرة، فسماها الرسول ﷺ اليسيرة، وتقع الآن بامتداد شارع قربان المتجه لسد بطحان، وقبل الوصول إلى بستان سوالة إلى اليسار، وقد طمرت البئر في السنوات الأخيرة، ولم يبق إلا بعض آثارها العلوية، وبجانبها مبان بنيت في عصور مختلفة.

٣. بئر غَرْس:

وهي من الآبار التي روي أن النبي ﷺ شرب وتوضأ منها، كما روي أنه أوصى أن يُغسل إذا مات بماء مجلوب منها. تقع هذه البئر في حي العوالي على طريق «قربان»، جنوب الحرم النبوي الشريف، وليس فيها ماء ظاهر الآن.

٤. بئر عَذْق:

تقع هذه البئر في الجنوب الغربي من مسجد قباء على بعد نحو مئة متر، وبالقرب منها استقبل أهل المدينة الرسول ﷺ عند قدومه إليها، ويسمي الناس البستان الذي يحيط بالبئر ببستان المستظل، وما زالت البئر تسقي هذا البستان بمياهها العذبة حتى اليوم.

٥. بئر سلمان الفارسي ﷺ:

ويقال لها (بئر الميثب أو بئر الفقير)، لما أسلم سلمان ﷺ كان مملوكًا ليهودي، فكاتبه سلمان على غرس ٣٠٠ نخلة في مزرعته وعلى أن يعطيه ٤٠ أوقية (أي اتفق معه على أن يعتقه مقابل ذلك)، فحثَّ النبي ﷺ أصحابه أن يتبرعوا لسلمان بشتلات النخل حتى اجتمع العدد المطلوب، فغرسها بيده الشريفة، فأثمرت في نفس السنة، وأعطاه الفضة المطلوبة، فأعطاها لليهودي، وبذلك أصبح سلمان حُرًّا، فكان من خيار الصحابة ومشاهيرهم.

ولم يبق من البئر اليوم إلا آثارها بجوار مدرسة حديثة.

بئر عذق بداخل بستان المستظل

مساجد المدينة:

تحتضن المدينة المنورة الكثير من المساجد التي ارتبط إنشاؤها بمناسبات تاريخية مختلفة، وقد صلى النبي ﷺ أو صحابته الكرام رضي الله عنهم في بعضها.

وقد قدر عدد المساجد التاريخية بنحو ٥٦ إلى ٦٢ مسجدًا؛ منها ما تهدم ولم تبق آثاره، ومنها ما عُرِفت جهته ولم يعرف مكانه المحدد، ومنها ما أعيد بناؤه في مراحل شتى على الطراز القديم، ومنها ما بُنِي في هذا العصر على الطراز الحديث.

وليس لهذه المساجد أحكام خاصة بها، فهي مساجد كغيرها من المساجد، وليس لها مزيد فضل عليها، فلا تشرع زيارتها على وجه التعبد، ولكن من حضرته الصلاة عندها فإنه يصلي فيها دون اعتقاد فضل مخصوص لذلك، ولا يُستثنى من ذلك إلا مسجد قباء الذي سبق ذكره، فقد ورد فيه فضل مخصوص.

وفيما يلي نستعرض عددًا من هذه المساجد:

١. مساجد الخندق:

هي مساجد بنيت في سفح جبل سلع، حيث وقعت غزوة الخندق (وتعرف أيضًا بغزوة الأحزاب)، ويسمى الحي الآن بـ«حي الفتح»، وله أسماء أخرى متعارف عليها عند الناس، هي: «السيح»، «الخندق»، «جبل سلع».

أحد مساجد الخندق

وقد بنيت هذه المساجد في أزمنة مختلفة بعد عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة، تخليدًا لذكرى هذه الغزوة، ولذكرى بعض الصحابة الذين كان لهم دور بارز فيها، وسميت المساجد بأسمائهم. وقد جددت هذه المساجد في القرون اللاحقة، وترجع الأبنية الحالية إلى زمن العثمانيين، ورممت في العصر الحالي.

اشتهرت هذه المساجد باسم «المساجد السبعة»، وهي تسمية حديثة نوعًا ما، وكانت تسمى قبل القرن الرابع عشر بـ(مساجد الفتح)، ولم يكن عدد المساجد سبعة بل كانت ستة مساجد، لكنهم أضافوا مسجد القبلتين لقربه من هذه المساجد نسبيًّا، فاشتهرت المساجد بالمساجد السبعة، وبعضهم أضاف بدل مسجد القبلتين مسجد الراية فوق جبل الراية (ذباب)؛ لأنه أقرب من مسجد القبلتين، ولارتباطه بأحداث غزوة الخندق، وبعضهم يضيف مسجد بني حرام بدلهما.

ومهما يكن من أمر، فلم يرد في فضل هذه المساجد شيء من الأحاديث ولا ترتبط بها عبادة مخصوصة، وإن قيل إن النبي ﷺ صلى في مكان بعضها، فليس ذلك على وجه اليقين، لكن الأكيد أن غزوة الخندق وقعت في هذه المنطقة.

وهذه المساجد هي:

أ) مسجد الفتح:

وهو أكبرها، قيل إنه بُنِي في الموضع الذي دعا فيه الرسول ﷺ ربَّه لكي ينصر المسلمين يوم غزوة الخندق، وهذا الموضع فوق رابية في السفح الغربي لجبل سلع، وورد في خبر: «أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثًا: يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه»، قال جابر راوي الحديث: «فلم ينزل بي أمر مهم غليظ، إلا توخيت تلك الساعة،

فأدعو فيها فأعرف الإجابة» (أحمد ١٤٥٦٣)، ولا يلزم من قوله «مسجد الفتح» أن يكون مبنيًّا في عهد النبي ﷺ، فإن معنى المسجد في الأصل موضع السجود.

والبناء الحالي مبني بحجر البازلت والجير، يتكون من إيوان طوله من الشرق إلى الغرب حوالي (٨,٥م)، وعرضه حوالي (٣,٥م)، ويبلغ ارتفاعه حوالي (٤,٥م)، وفي وسط حائط القبلة وعلى محور المبنى أقيم محراب صغير. وينفتح الحائط الشمالي للإيوان على رحبة صغيرة مسوَّرة طولها من الشرق إلى الغرب (٨,٥م) وعرضها (٦,٥م)، وغُطِّيت الحوائط من الداخل والخارج ببياض.

ب) مسجد سلمان الفارسي ﷺ:

وهو الصحابي الذي أشار للنبي ﷺ بحفر الخندق لحماية المدينة من هجوم الأحزاب من مشركي قريش ومن حالفهم.

يتكون المسجد من رواق مستطيل وسقف على شكل دائري، وينفتح حائط الرواق الشمالي على الرحبة عن طريق ثلاثة عقود أكبرها العقد الأوسط، وبالحائط الجنوبي للرواق يوجد محراب، وحوائط وسقف المبنى من أحجار البازلت المدهونة بالجير الأبيض، عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي (٧م)، ومن الشرق إلى الغرب حوالي (٨,٥م).

ت) مسجد أبي بكر الصديق ﷺ:

يقع جنوب غرب مسجد سلمان، على بعد خمسة عشر متراً منه، وقد هُدِم ليعاد بناؤه وتوسيع مساحته.

ث) مسجد عمر الفاروق ﷺ:

يقع على بعد عشرة أمتار جنوب مسجد أبي بكر، وهو على شكل رواق مستطيل وله رحبة غير مسقوفة على صورته، يرتفع عن الأرض ثماني درجات، وطريقة بنائه تطابق بناء مسجد الفتح، وربما يكون قد بني وجدد معه.

ج) مسجد علي بن أبي طالب ﷺ:

يقع المسجد شرق مسجد سعد بن معاذ على رابية مرتفعة مستطيلة الشكل، يتكون من رواق مستطيل حوائطه من حجر البازلت، وينفتح الحائط الشمالي على الرحبة أمامه عن طريق عقد مدبب، وفي منتصف حائط القبلة يوجد المحراب، طول المسجد (٨,٥م) وعرضه (٦,٥م)، وله درجة صغيرة.

ح) مسجد سعد بن معاذ ﷺ:

وقد يسمى في العصر المتأخر بمسجد فاطمة الزهراء ﷺ؛ وسعد بن معاذ هو سيد قبيلة الأوس من الأنصار، وله قدم راسخة وفضل في الإسلام، وقد شارك في معركة الخندق، وأصيب فيها بسهم، وحكم في اليهود الذين نقضوا العهد وأعانوا المشركين على المسلمين في الغزوة، ثم مات لاحقًا متأثرًا بإصابته.

يتكون المسجد من أرض مستطيلة محاطة بسور بارتفاع حوالي مترين وليس عليه سقف، وطوله من الشرق إلى الغرب (٦,٢٥م) ومن الجنوب إلى الشمال (٣,٣٥م) ومساحته من الداخل (٢١م^{٢}).

٢. مسجد الغمامة:

ويُسمَّى أيضًا (مسجد المصلَّى)، ويقع في الجهة الغربية الجنوبية للمسجد النبوي الشريف، على بعد ٥٠٠م من باب السلام، وقد بني في المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه صلاة العيد والاستسقاء، وربما ترجع تسميته بالغمامة لكون المكان الذي بني عليه كان مصلى الاستسقاء، والغمام هو السحاب الذي ينزل منه المطر.

ولعل بناءه كان بعد عهد الصحابة لإبقاء هذا المكان موضع صلاة، بعد أن توسع عمران المدينة وتجاوز هذا المصلى الذي كان خارج العمران في زمن النبي ﷺ.

بُنِي المسجد وجُدِّد وأصلح في عصور مختلفة، إلى أن قام السلطان عبد المجيد الأول بتجديده تجديدًا كاملًا، ثم أجريت فيه بعض الإصلاحات في عهد السلطان عبد الحميد والعهد السعودي.

والمسجد مستطيل الشكل، يتكون من جزأين: المدخل، وصالة الصلاة، أما المدخل: فهو مستطيل طوله ٢٦مترًا، وعرضه ٤ أمتار، سقف بخمس قباب كروية، أعلاها القبة الوسطى التي تنتصب فوق مدخل المسجد الخارجي. وأما صالة الصلاة: فيبلغ طولها ٣٠ مترًا، وعرضها ١٥ مترًا، وقسمت إلى رواقين، وسقفت بست قباب في صفين متوازيين، أكبرها قبة المحراب، وكسي المسجد من الخارج بالأحجار البازلتية السوداء، وطليت القباب فوقه بالنورة (البياض)، ومن الداخل طليت الجدران وتجاويف القباب بالنورة، وظللت الأكتاف والعقود باللون الأسود مما أعطى المسجد منظرًا جميلًا.

٣. مسجد أبي بكر ﷺ:

وهو مسجد آخر غير الذي في منطقة الخندق، يقع في زقاق العريضة، في الجهة الغربية الجنوبية للمسجد النبوي الشريف قرب مسجد المصلَّى (الغمامة)، وهو من الأماكن التي صلى فيها الرسول ﷺ العيد، ثم من بعده الصديق ﷺ، فلما بُني المسجد نسب إليه.

يرجع البناء الحالي إلى عام ١٢٥٤هـ، ورمم عام ١٤١١هـ، ويتكون من قسمين؛ الأول ردهة مكشوفة طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ثلاثة عشر مترًا من داخلها، وعرضها من الشرق إلى الغرب من داخل المسجد ستة أمتار، والقسم الثاني هو القسم الداخلي، وهو مربع الشكل وطول كل جدار من الداخل تسعة أمتار، وفوقه قبة ارتفاعها من الداخل يزيد على اثني عشر مترًا، كسي الجدار الشرقي بالحجر الأسود، وطليت القبة والمنارة باللون الأبيض من خارجها، واجتمع اللونان الأبيض والأسود في الطلاء الخارجي للمسجد، فاجتمع اللونان في تناسق جميل.

مسجد أبي بكر ﷺ

مسجد عمر ﷺ

٤. مسجد عمر ﷺ:

يقع بمنطقة المصلَّى أيضًا، وهو غير المسجد الذي بالخندق، يبعد عن مسجد المصلَّى ١٣٣ مترًا، ويبدو واضحًا بأول شارع قباء على يسار الذاهب إليها.

يعود البناء الحالي إلى العصر العثماني، وهو مربع الشكل، طول ضلعه ثمانية أمتار تقريبًا، بُنِي بالأحجار البازلتية، وطُلِي من الداخل بالورقة (البياض)، ودُهِن بالكلس (الجير)، وسُقِف بقبة محلاة بزخارف نباتية جميلة، يصل ارتفاعها من الداخل إلى ١٢م تقريبًا، وكان في الجهة الشمالية صحن مكشوف بأبعاد ٣×١٢م، وقد غطي أثناء ترميم المسجد في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٤١١هـ.

٥. مسجد علي ﷺ:

يقع بمنطقة المصلَّى، وهو غير المسجد الذي بمنطقة الخندق، ويبعد عن مسجد المصلَّى بنحو ١٢٢ مترًا، وقد وسِّعَ وجُدِّدت عمارته في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله في سنة ١٤١١هـ. وهو على شكل مستطيل تعلوه سبع قباب، وبجانبه الشرقي منارة ملاصقة ارتفاعها ٢٦ مترًا، والتصميم الحالي للمسجد مماثل للبناء القديم، ويبلغ طوله (٣١م) وعرضه (٢٢م) ومساحته الإجمالية (٦٨٢م^{٢}).

فائدة

أمور الدنيا بابها واسع، وأما العبادات فتوقيفية!

العبادات في الإسلام لا بد أن تكون بشرع من الله تعالى؛ بما أوحاه إلى النبي ﷺ في القرآن الكريم أو السنة المطهَّرة، فلا مجال لإعمال العقول ولا لاستحسان الأذواق في العبادات، إذ لو فُتِح للناس باب إنشاء عبادات جديدة غير مأخوذة من تعاليم الله؛ لصار دين الإسلام مثل دين أهل الكتاب الذين حرَّفوا وبدَّلوا، ولضاع الدين، ولم تعد له ملامح واضحة تميِّزه عن غيره، وحينئذ لا يكون الناس خاضعين لله تعالى وإنما لأهوائهم.

أما الأمور الدنيوية، والعلوم التجريبية، فقد فتح الإسلام فيها أوسع الأبواب للابتكار والإبداع، ما دامت تعود بالنفع على الناس ولا تخالف شيئًا من تعاليم الدين، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم». (مسلم ٢٣٦٣)

٦. مسجد صدقة الزبير:

يقع في حي الشريبات، وهو مسجد قديم جدًّا مبني بالحجارة، وربما سبق بناؤه مساجد المصلَّى ومساجد الخندق، ويرجح عدد من الباحثين أنه المسجد الذي كان في الأرض التي يملكها الزبير بن العوام ﷺ ببني محمم من يهود بني قريظة.

٧. مسجد الشيخين:

ويسمى أيضًا (مسجد البدائع) و(مسجد الدرع)، وهو مسجد أثري مربع، عشرة أمتار في عشرة أمتار ومساحته (١٠٠م٢)، وهو عامر بالمصلين وتقام فيه الصلوات الخمس، وقد رمم عام ٢٠١٨م دون هدم جدرانه؛ مما أبقى الملامح القديمة للمسجد ممتزجة بما أضيف حديثًا من دعائم ورفوف وقناديل.

مسجد الشيخين

٨. مسجد الراية:

بُنِي هذا المسجد على جبل الراية (ذباب)، وهو الجبل الذي خيم عليه النبي ﷺ للإشراف على أعمال حفر الخندق، والمسجد مبني بناءً متقنًا بالحجارة المطابقة، على صفة المساجد العمرية، وهو مجصص ظاهرًا وباطنًا، وقد أحاطت به المنازل إحاطة السوار بالمعصم، وغطت عليه من كل جهة في السنوات الأخيرة.

٩. مسجد الفسح:

بُنِي في الموضع الذي قيل إن النبي ﷺ صلَّى فيه بعد انقضاء القتال في غزوة أحد، ويقع في الجهة الشمالية من المسجد الكبير الذي بجانب مقبرة شهداء أحد، وهو مسجد صغير لاصق بجبل أحد، وقد تهدم جداره الشامي وبقيت أجزاء من الجدار الشرقي والغربي، أما الجدار الجنوبي فما زال مرتفعًا حوالي (١,٥م)، والمحراب المجوف واضح فيه، وطوله من الشرق إلى الغرب (٦,٢م) ومن الجنوب إلى الشمال (٨م).

١٠. مسجد السقيا:

يقع داخل سور محطة السكك الحديدية، وهو مسجد صغير تعلوه ٣ قباب، ويقع على مساحة ٥٦م٢، بلا مئذنة، تصميم بنائه عثماني، أعيد ترميمه في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله في عامي ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

مسجد السقيا

١١. مسجد بني أُنيف:

مسجد قديم جدًّا، يقال له مسجد بني أنيف لوقوعه في قرية بني أُنيف، يقع في جنوب غرب مسجد قباء بجوار مستودعات غسان، وعلى يمين القادم إِلى المدينة المنورة عن طريق الهجرة. وأثر المسجد واضح الآن على مرتفع من الأرض، وبقي من جدرانه نحو من مترين، وهو مبني من الحجر البازلتي، وأثر المحراب واضح فيه، ومدخله في الجهة الشمالية.

١٢. مسجد القبلتين:

كان يعرف (بمسجد بني سلمة)، وسبب تسميته بمسجد القبلتين أنه لما حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، جاء صحابي إلى بني سلمة وهم يصلون في مسجدهم، فأخبرهم أن القبلة حُوِّلت، فداروا إلى جهة الكعبة وهم في الصلاة. (البخاري: ٤٠)

وقد أعيد بناؤه على الطراز الحديث عام ١٤٠٨هـ في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، وهو يتألف من دورين، وله منارتان وقبتان ومدخل للرجال وآخر منفصل للنساء، وتبلغ مساحته الإجمالية (٣٩٢٠م٢)، وتتوسطه قاعة صلاة بمساحة (١١٩٠م٢)، تتسع لألفي مصلٍّ، يضاف إليها شرفة بمساحة (٤٠٠م٢) مخصصة للنساء على دور مرتفع خلف القاعة.

مكتبات ومطابع المدينة:

١. مكتبة المسجد النبوي الشريف:

أُسِّست مكتبة المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٥٢هـ، وتقع داخل المسجد قرب باب عثمان، ويتمكن جميع الزائرين من دخولها والاستفادة من مرافقها.

تحتوي المكتبة على (١٧٢,٥٤٨) كتابًا و(٥٤١) دولابًا و(٧١) تصنيفًا، كما أن بها من نوادر المخطوطات الشيء الكثير؛ منها مصاحف قديمة، وما يزيد على ١٥٠٠ عنوان من الكتب المخطوطة الأصيلة.

تتسع المكتبة لأكثر من (٣٠٠) زائر في الساعة، ويرتادها سنويًّا أكثر من (٧٠٠,٠٠٠) زائر، وهي مجهزة بجميع الخدمات من التكييف والإضاءة وسقيا زمزم والفرش والطاولات والكراسي وأجهزة الحاسب الآلي -وعددها أكثر من ٧٠ جهازًا- مع أنظمة تقنية لاستقبال جميع الباحثين والزائرين في جو من الهدوء والسكينة.

مكتبة المسجد النبوي الشريف

٢. مكتبة الملك عبد العزيز العامة:

مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة أكبر المكتبات التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وقد نُقِلت مكتبة المدينة المنورة العامة -بما فيها من مكتبات وقفية إليها- كما ألحقت بها بعد ذلك مكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة رباط بشير آغا، وبعض المكتبات الشخصية التي تم وقفها على مكتبة الملك عبد العزيز.

وهي من المكتبات الإسلامية المهمة ذات السمة الخاصة؛ لجمعها بين خصائص المكتبة العامة، ومركز المخطوطات، ومركز البحث العلمي.

تحتضن المكتبة (١٤,٢٤٦) مخطوطًا أصليًّا، و(١,٨٧٨) من المصاحف المخطوطة، و(٨٤) ربعة قرآنية، وهو ما يعكس مدى اهتمام المسلمين بكتاب الله الكريم، وعنايتهم به حفظًا ودراسة وكتابة وتفسيرًا وترجمة وخطًّا وزخرفة، بالإضافة إلى (٢٥,٠٠٠) كتاب نادر، وحوالي (٩٠,٠٠٠) مطبوع حديث، والعديد من المقتنيات الأثرية.

٣. مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة:

وهو أكبر مطبعة في العالم لطباعة المصحف الشريف، ويُعنى بنشر وخدمة كتاب الله الكريم، بكافة الوسائل المطبوعة والمسموعة، وباستخدام التقنيات الحاسوبية على اختلافها.

تبلغ طاقة المجمع الإنتاجية ١٨ مليون نسخة سنويًّا، موزعة بين مصاحف كاملة، وأجزاء، وترجمات، وتسجيلات، وكتبٍ لعلوم القرآن، وغيرها.

افتُتِح المجمع عام ١٤٠٥هـ، وتُقدَّر مساحته بـ ٢٥٠ ألف متر مربَّع، وهو وحدة عمرانيَّة متكاملة في مرافقها؛ إذ يضمُّ مسجدًا، ومباني للإدارة، والصِّيانة، والمطبعة، والمستودعات، والنَّقل، والتَّسويق، والمكتبة، والعيادة الطبيَّة، والخدمات المساندة الأخرى.

يمكن التنسيق مع الإدارة لزيارة هذا المجمع الضخم، وبه برنامج لاستقبال الوفود، وشرح عمل المجمع لها.

إحدى خطوط الإنتاج في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

اهتمام المسلمين بالكتب

كانت أول آيات نزلت من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق: ١ - ٥)، **ولا يخفى ما في الآيات الكريمة من تنويه بمنزلة العلم وأدواته، ولهذا لم يكن مستغربًا ما حققته الحضارة الإسلامية من إنجازات علمية، وما أضافته من معارف وعلوم لركب الحضارة الإنسانية في مختلف المجالات، فقد فهم المسلمون أن دينهم يحضُّ على العلم النافع ويدعو للتزود منه، فانطلقوا في آفاقه الرحبة ينهلون منه.**

يقول وول ديورانت: «وكان عند بعض الأمراء - كالصاحب بن عبَّاد - من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوربية مجتمعة. ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم -اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج- ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر؛ ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية، ولم يكن العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قرطبة إلى سمرقند يقلون عن عدد ما فيها من الأعمدة، وكانت إيواناتها تردد أصداء علمهم وفصاحتهم، وكانت طرقات الدولة لا تخلو من الجغرافيين، والمؤرخين، وعلماء الدين، يسعون كلهم إلى طلب العلم والحكمة». (قصة الحضارة ١٣/ ١٧١)

متاحِف المدينة:

١. مُتْحَف المدينة المنورة:

ويعرف أيضًا بمتحف (سكة الحجاز أو متحف العنبرية)، ويعرض في جنباته تراث المدينة وتاريخها، ويضم مجموعات أثرية مختلفة، ومعارض بصرية، وصورًا نادرة تتعلق بالمدينة المنورة عبر العصور.

يبلغ طول مبنى المتحف ٧٠٠م، وعرضه ١٥٠م، ويعد من آثار المدينة، فقد كان في الأصل محطة سكة حديد الحجاز بالمدينة -وكانت تعرف أيضًا بالأستسيون- وهي المحطة النهائية لقطار الحجاز، وتبعد ١٣٢٠,٥ كيلومتر عن محطة الحجاز في دمشق.

افتتحت محطة المدينة في الأول من سبتمبر/ أيلول عام ١٩٠٨، وهي من أبرز محطات سكة حديد الحجاز، فقد بنيت بالحجر البازلتي الأسود بتصميم معماري فريد، على مقربة من مسجد العنبرية.

تعرضت المحطة للتوقف المتقطع أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم توقفت نهائيًّا في عام ١٩٢١، وفي عام ١٩٨٣ حُوِّلت إلى متحف بعد أن رُمِّمت وأهّلت.

٢. مُتْحَف دار المدينة:

أو (متحف كعكي، نسبة لمؤسسه المهندس عبد العزيز كعكي)، وهو أول متحف متخصص لعرض التاريخ الحضاري والثقافي والإسلامي للمدينة المنورة، بدءًا بالهجرة النبوية إلى العهد الحالي، والهدف من إنشاء المتحف هو حفظ التراث العمراني والتاريخي للمدينة، وخاصة الأماكن التي تقع في محيط المسجد النبوي، وذلك بعدما توالت عمليات الهدم لهذه الأماكن بسبب أعمال توسعة الحرم النبوي.

يعرض المتحف مجموعة كبيرة من المقتنيات النادرة والمتعلقات الأثرية الجميلة، من أهمها أجزاء مختلفة من كسوة الكعبة المشرفة عبر التاريخ الإسلامي، والعملات النادرة التي استخدمت في المدينة المنورة على مدى عصورها المختلفة منذ العهد النبوي حتى يومنا الحاضر، ومجموعة من القطع الفخارية التي تعود إلى العهد الأموي، وبعض المخطوطات الإسلامية، والمجوهرات والمقتنيات النادرة التي تعود لمرحلة ما قبل الإسلام، والتحف والملابس والقطع التي تميز بها تراث المدينة المنورة القديم، ويلتزم المتحف بإصدار الكتب والأبحاث في مجال معالم المدينة المنورة وتراثها المعماري بشكلٍ دوريٍّ.

متحف دار المدينة

٣. مُتْحَف سلامة الجهني:

متحف خاص بالتراث الشعبي، يملكه سلامة بن رشدان الجهني. يتكون المتحف من مبنى مستقل من دور واحد مقسم إلى عشرين جناحًا، تُعرض فيها مجموعات متكاملة من الأجهزة السمعية القديمة، النحاسيات، أدوات الإضاءة القديمة، أدوات الضيافة والقهوة العربية، المخطوطات والوثائق والكتب، النقوش، العملات، الجلديات، الأسلحة وأدوات الحرب، المشغولات اليدوية، المنسوجات والملابس بنوعيها الرجالية والنسائية، وكذلك الحلي النسائية وأدوات الزينة، وأدوات التحنيط، وأدوات الطب العربي، والسيارات القديمة.

٤. مُتْحَف المدينة الإعلامي للتراث:

متحف خاص للتراث الشعبي تملكه منال سالم محمود، وتتركز أهم معروضاته في أفلام وثائقية للتراث والتاريخ والعمارة بالمدينة المنورة بلغات متعددة.

بالمتحف قاعة عرض مسرحي تتسع لـ ١٢٠ شخصًا، تُعرَض فيها أفلام لتاريخ المسجد النبوي بخمس عشرة لغة، كما يحتوي المتحف على مجسمات لتطور عمارة المسجد النبوي الشريف، وبيوت زوجات النبي ﷺ، ومقبرة البقيع، وسكة الحديد، وصور المسجد الحرام بمكة المكرمة والكعبة المشرفة، وقاعة لتراث المدينة المنورة، وقسم خاص لمبيعات التراث.

٥. مُتْحَف طيبة للتراث:

يقع المتحف في إحدى البنايات التابعة لوقف البركة الخيري، والواقعة على شارع أفلح بن سعد، المتفرع من شارع الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة. يضم المتحف مجموعة من القطع التراثية المهمة، ويوجد بجانب المتحف -في الطابق نفسه- مكتبة كبيرة تضم مجموعة كبيرة من أهم الكتب التاريخية والثقافية. تعرض القطع التراثية داخل المتحف بأسلوب رائع وعلمي، وذلك من خلال خزانات زجاجية وأضلاع خشبية من النوع القيم، صممت على شكل أجنحة صغيرة.

٦. مُتْحَف عبد المجيد الخريجي:

ويعرف أيضًا باسم (متحف الدينار والدرهم)، وهو أحد أشهر متاحف المدينة المنورة، ويهتم بعرض الآلاف من المقتنيات الأصلية، والوثائق التاريخية الأثرية، التي جمعت على مدى خمسين عامًا من داخل وخارج المملكة العربية السعودية، وتشمل هذه المقتنيات قطعًا فريدة من التراث الشعبي، والوثائق، والمخطوطات، والخرائط التاريخية القديمة، بالإضافة إلى مجموعة من العملات الإسلامية الأثرية النادرة. وقد أصدر المتحف مجموعة من الكتب للتعريف بالعملات الإسلامية والتراث الشعبي بشكل عام.

متحف المدينة الإعلامي

من معروضات متحف الخريجي

معارض ومهرجانات المدينة:

١. مَعْرِض الحرمين الشريفين بالمدينة المنورة:

يقع المعرض -الذي تقيمه وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي- في الجهة الجنوبية من المسجد النبوي، ويحكي التوسعات التي شهدها المسجد النبوي منذ أن أسسه رسول الله ﷺ حتى آخر توسعة، عبر الصور، ووسائل العرض، والمجسمات، والأشرطة الوثائقية باللغتين العربية والإنجليزية.

ويضم المعرض نسخًا من بعض المخطوطات، ومُجَسَّمًا يحوي خاتم النبي ﷺ، بالإضافة إلى صور لرسائل الرسول الكريم ﷺ الموجهة لعظيم القبط، وكسرى، والنجاشي، وأمير البحرين منذر بن ساوى، وكذلك مصاحف يعود عمرها إلى أكثر من ٢٠٠ عام، وأهم إصدارات الكتب عن المدينة المنورة.

٢- المَعْرِض الدولي للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية:

أضخم معرض حضاري شامل يتناول سيرة النبي محمد ﷺ بدءًا بنشأته ونسبه، وآدابه وأخلاقه العظيمة، ويستعرض مراحل دعوته وهجرته، في عمل وثائقي متقن يتناول العديد من الجوانب المرتبطة بسيرته المطهرة.

شُيِّد المعرض على مساحة ٤ آلاف متر مربع بجوار مسجد قباء، ويقدم لمرتاديه عرضًا مشوِّقًا عن أحداث السيرة النبوية العطرة، باستخدام الشاشات المرئية، والتصاميم التي تحاكي الواقع؛ ليقدم نبذة شاملة عن تاريخ السيرة النبوية، والحضارة الإسلامية.

٣. مهرجان الثقافات والشعوب:

مهرجان تنظمه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنويًّا، حيث يجتمع تحت سقف واحد طلاب من ١٠٠ دولة تقريبًا؛ ليعرضوا تراث دولهم وحضاراتها، والعادات والتقاليد التي تربط الشعوب بأوطانهم.

وهذا المهرجان أحد الأنشطة الثقافية المؤثرة في منطقة المدينة المنورة، ويحظى بزيارة عدد كبير من أهالي المنطقة وغيرهم، حيث يُبرِز الطلاب من خلاله ثقافات بلدانهم وحضاراتها، في محفل يعزز الحوار والمحبة، ورسائل التعايش والتعارف ونشر المحبة والسلام بين مختلف الشعوب، ويسهم في تنمية القيم الإسلامية وتعزيز مبادئ العمل الجماعي، إضافة إلى الدور التربوي والتعليمي المتمثل في صقل مهارات الطلاب وتنمية قدراتهم.

يُنفَّذ المهرجان بأيدي طلاب الجامعة أنفسهم، حيث يقومون بتجهيز الأجنحة الخاصة بدولهم، بإشراف اللجان العاملة في الجامعة.

المدينة النبوية عبر التاريخ الإسلامي

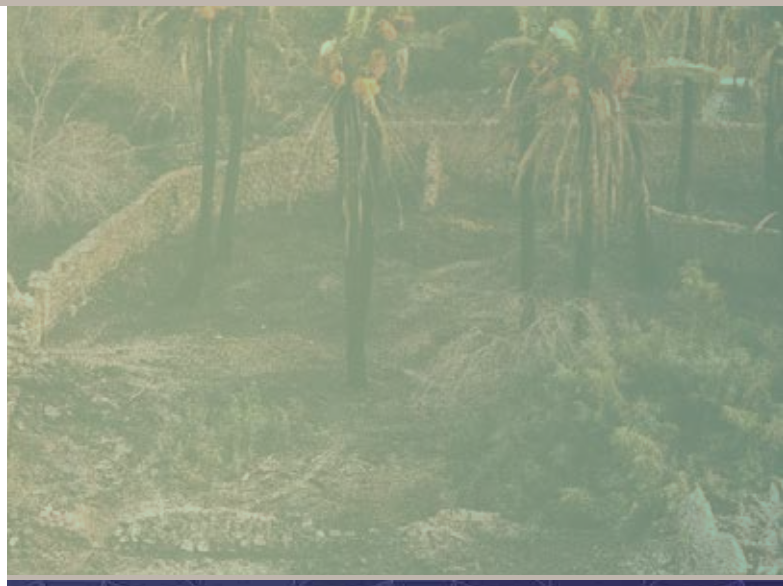

بهجرة النبي ﷺ فُتحت صفحة جديدة مجيدة في تاريخ المدينة، لن تُطوى إلى قيام الساعة، وخلال أكثر من ١٤٠٠ سنة منذ الهجرة وحتى اليوم، تعاقبت على المدينة كثير من الدول والأحداث، وفيما يلي عرض سريع لبعض ذلك..

الدول المتعاقبة على المدينة منذ الهجرة:

أولًا: العهد النبوي (١ هـ - ١١ هـ):

عاشت المدينة في هذا العهد أزهى عصورها، حيث قام النبي ﷺ بتحويلها إلى كيان سياسي واجتماعي واقتصادي قوي، شكل نواة لدولة الإسلام الأولى التي كان نبيُّها وقائدها رسول الله ﷺ، والتي توسعت فيما بعد لتصبح امبراطورية عالمية.

وفي سبيل تأسيس هذا الكيان، قام النبي ﷺ باتخاذ عدد من التدابير والخطوات النوعية، ومن أهمها:

- بناء المسجد النبوي، وجعله ملتقًى للعلم والتعليم، ومقرًّا للحكم والقضاء وإدارة شؤون الدولة.
- التأليف بين الأنصار، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ مما وحَّد صف المجتمع وأشاع بين أفراده روح المحبة والتعاون.
- بناء سوق مستقل للمسلمين بعيدًا عن تأثير اليهود.
- الإمساك بزمام تجارة المدينة، حيث حل المهاجرون مكان تجار اليهود في إدارة دفة التجارة في المدينة، لأن الأنصار كانوا أهل زراعة وإنتاج لا أهل تجارة.
- سَنِّ عدد من الأمور التي أدت لازدهار الزراعة، ومنها: إحياء الأرض الموات، والحث على الزراعة مكان أي شجرة تقطع، وتنظيم أمر الري والسقي، وتنظيم وتحديد المكاييل والأوزان والنقود التي اعتمدت للتعامل بها.
- معالجة الفقر بالحث على العمل والإنتاج، والحث على الصدقة والوقف وكفالة الأيتام.
- معالجة التلوث البيئي، حيث دعا الله عز وجل بنقل الأوبئة منها.

إلى غيرها من الأمور التي سرعت عجلة التنمية، وأقامت أسس السيادة والريادة.

في هذا العهد المبارك أسس مسجد النبي ﷺ، وكان طوله يومئذٍ ما يقارب ٣٥ مترًا، وعرضه ٣٠ مترًا، فتكون مساحته ١٠٥٠ مترًا مربعًا، وكان سقفه بارتفاع مترين تقريبًا. وكانت أعمدة المسجد من جذوع النخل وسقفه من الجريد (أغصان النخيل)، وأساسه من الحجارة، وجداره من اللَّبِن (الطوب النيئ الذي لم يُحرق بالنار)، وجعل وسطه رحبة (ساحة)، وكان النبي ﷺ يبني مع الصحابة بنفسه، ويحمل الحجارة واللبن.

ثانيًا: عهد الخلافة الراشدة (١١ هـ - ٤١ هـ):

استمرت المدينة عاصمة للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، حتى ظهرت الفتنة الأولى في عهد عثمان ﷺ، التي انتهت بمقتله مظلومًا شهيدًا في بيته، ومع أن علي بن أبي طالب ﷺ بويع بالخلافة في المسجد النبوي سنة ٣٦هـ، إلا أنه اضطر لمغادرتها إلى الكوفة لبعض الاضطرابات التي حصلت، فانتقلت عاصمة الدولة الإسلامية إليها، وبقيت المدينة مركزًا يقصده العلماء والفقهاء للأخذ عن صحابة النبي ﷺ والتابعين.

تتابعت أعمال التوسعة في المسجد النبوي في عهد الخلفاء الراشدين، فكانت توسعة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ حيث زاد في المسجد من الناحية القِبلية بمقدار أسطوانة، ومن الغرب بمقدار أسطوانتين، وزاد في الشمال نحو ثلاثين ذراعًا، فصار طول المسجد (١٤٠) ذراعًا، وعرضه (١٢٠) ذراعًا، وبناه كما كان في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد والسعف وجذوع النخل، وجعل ارتفاع سقفه (١١) ذراعًا، وجعل له سترة بارتفاع ذراعين أو ثلاثة، وقدرت هذه الزيادة بـ ١١٠٠ متر مربع.

وفي عهد عثمان استبدلت بأعجاز النخيل عمد الحديد والرصاص، وجعل سقفه من خشب الساج، وبنيت جدرانه بالحجارة المنقوشة بعد إزالة مباني اللبن والجريد والسعف، وزاد عثمان في مساحته واستحدث فيه المقصورة التي لاتزال تعرف إلى اليوم بمحراب عثمان، وقدرت زيادة عثمان بـ ٤٩٦ مترًا مربعًا.

ثالثًا: عهد الدولة الأموية (٤١ هـ - ١٣٢ هـ):

انتقلت عاصمة الدولة في العهد الأموي إلى دمشق، وأصبحت المدينة إمارة من إمارات الدولة الأموية، لكن ذلك لم يصرف الخلفاء الأمويين عن الاهتمام بها والعناية بشؤونها، ففي عهدهم تولى إمارتها أشهر رجالاتهم؛ مثل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأبان بن عثمان بن عفان، وعمر بن عبد العزيز.

كانت المدينة محل عناية ورعاية الأمويين منذ أيام معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وفي عهدهم توسعت عمارة المدينة، وأنشئت القصور، وصممت الحدائق الغناء، واتصلت بعض أجزاء السهل ببعض، ترويها العيون والآبار، وتم توفير المياه للمناطق البعيدة في المدينة أيضًا، وتم بناء حصنين في طرف المدينة لمراقبة مداخلها. (ينظر: تاريخ المدينة المنورة ١/ ٢٧٢)

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) أعيد بناء المسجد، بعد أن أضيف إليه مكان بيوت أزواج النبي ﷺ، وبعض الأبنية والأراضي التي تحيط به، وغدت مساحته ٢٠٠×٢٠٠ ذراع وأصبح للمسجد أربع مآذن وعشرون بابًا، واستُقدم إليه البناؤون من مصر والشام.

كما جُعل فيه محراب على شكل فجوة في الحائط، ولم يكن في عهده ﷺ محراب ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وأول من أحدثه عمر بن عبد العزيز أثناء عمارته سنة ٩١هـ، وجُعِل في مكان صلاة النبي ﷺ.

رابعًا: عهد الدولة العباسية (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ):

امتد عهد الدولة العباسية بضعة قرون، كانت بداياتها مرحلة قوة وازدهار للدولة، ثم دب إليها الوهن والضعف، فنازعتها الحكم غيرها من الدول، وكان الحكم الفعلي فيها في كثير من الأحيان لأمرائها وسلاطينها الذين كانوا يدينون بطاعة اسمية للخليفة العباسي، الذي يستمدون شرعية حكمهم من الولاء له، وفي بعض الأحيان كانت تحكم بعض المناطق دول خارجة عن طاعتهم، كالعبيديين.

انتقلت عاصمة الخلافة في عهد العباسيين من دمشق إلى بغداد، لكن الاهتمام بالمدينة بقي مستمرًّا، وبقيت منارة من منارات العلم الشرعي، يقصدها طلابه من بقاع الأرض لأخذ الحديث والفقه عن علمائها.

وفي عهد العباسيين أقيمت محطات ثابتة للبريد على امتداد الطريق من المدينة إلى مكّة واليمن، وتعني إقامة مبانٍ كلّ عدّة أميال لخدمة الحاج والقوافل، وقد أقيم هذا البريد عام ١٦٦هـ.

وفي عهد المهدي سنة ١٦٩هـ أصبحت مساحة المسجد النبوي ٢٤٥٠م٢، وأحيطت هذه الزيادة بأروقة من العمد والقباب.

خامسًا: عهد الدولة العبيدية «الفاطمية» (٣٥٨هـ - ٤٩٠ هـ):

مع ظهور الدولة العبيدية ودخول الدولة العباسية مرحلة الضعف، كان الولاة في مكة والمدينة شبه مستقلين، وكان بعضهم يوالي العبيديين مرة ويوالي العباسيين مرة أخرى، وكان الولاء يتمثل في الدعوة للخليفة العباسي أو الحاكم الفاطمي، ولم يتعدَّ ذلك لتبني مذهب العبيديين المنحرف.

وبسبب بعض الاضطرابات وتعرض المدينة لبعض الاعتداءات من المفسدين، تم بناء سور المدينة حول الكتلة العمرانيّة التي تشكّل معظم المدينة حينها، وهي كتلة مركزها المسجد النبوي، وتضم دار الإمارة والأربطة ومساكن الزوّار، والأحياء المتلاصقة، ومعظم مساكن أهل المدينة، وجُعِل للسور أربعة أبواب. (ينظر: مرآة الحرمين ١/ ٤١٠)

سادسًا: حكم أمراء شبه مستقلين (٤٩٠هـ -٩٢٣هـ):

في هذه المدة حكم المدينة أمراء وحكام مستقلون أو شبه مستقلين، مع بقاء تحالف أو ولاء شكلي في مدد مختلفة للعباسيين أو الأيوبيين أو المماليك أو

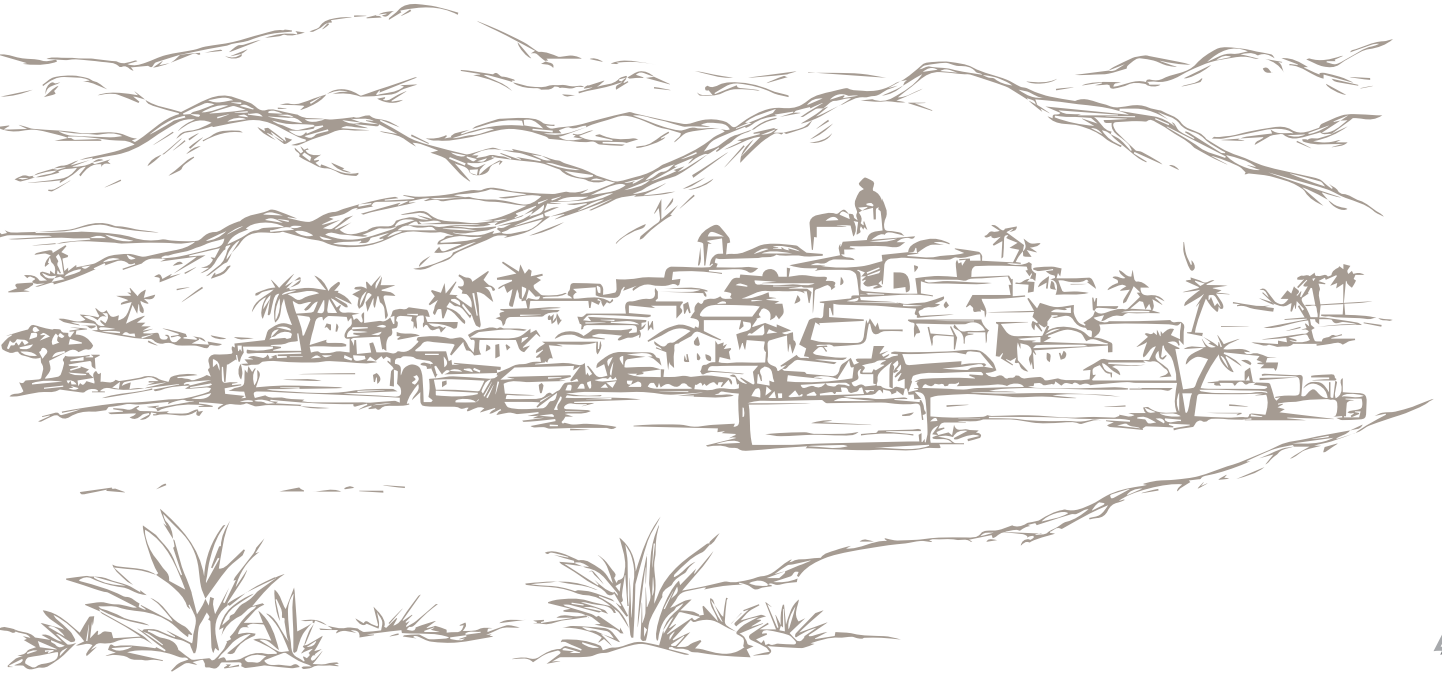

أمير مكة، ومن أبرز الأسر التي حكمت المدينة في هذه المدة آل المهنا، وهم ذرية مهنا بن داود، ويرجع نسبه إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. (ينظر: المدينة في العهد المملوكي (ص: ٢١-٨١)، المدينة المنورة في عهد الزنكيين الأيوبيين والمماليك لعبدالباسط البدر، تاريخ البناكتي (ص: ١١٧)، تاريخ ابن خلدون (٤/ ١٣٩-١٤٢)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٤/ ١٨٦-١٩٨))

ومما تم في هذه المرحلة:

- بناء سور محكم حول المدينة مكان السور القديم المتهدّم، مستوعبًا الكتلة المعماريّة آنئذ. (الكامل، لابن الأثير ٩/ ٨٨)
- بناء رباط كبير فيه أوقفة لفقراء العجم الذين يجاورون في المدينة المنوّرة، وللزائرين في الموسم، في موقع دار عثمان بن عفّان المسماة (الدار العظمى)، وهي أكبر دور المدينة آنئذ. (الحجاز في العصر الأيوبي، عائشة بوقاسي ص ٩٦)
- في عام ٥٧٦هـ زاد الناصر صلاح الدين الأيوبي في المسجد قبة الصحن؛ لحفظ التحف والذخائر، وما كان يساق إليه من الهدايا.
- على إثر الحريق الذي أتى على معظم أجزاء المسجد سنة ٦٥٤هـ، أمر الخليفة المستعصم بالله بإعادة بنائه من جديد، وألحق فيه بعض الإضافات.
- تعرض المسجد للحريق مرة ثانية في عهد المماليك سنة ٨٨٦هـ، وأتت النار على معظم أجزائه، واحترق معظم ما فيه من المخطوطات والمصاحف، فقام السلطان الأشرف قايتباي بتوجيه الصُّنَّاع والأخشاب والرصاص من مصر، وإعادة بناء المسجد على الصورة التي كان عليها، فاكتمل البناء عام ٨٨٨هـ.

سابعًا: عهد الدولة العثمانية (٩٢٣هـ - ١٣٣٧هـ):

كانت المدينة في هذه المدة تتبع والي العثمانيين على مصر، واستمر هذا إلى سنة ١٢٥٦هـ، وفيها تبعت المدينةُ السلطنةَ العثمانية مباشرة، (ينظر: تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ص: ٢٦٦) **ومما تم في هذا العهد:**

- إنشاء سور حجري عالٍ وقوي يحيط بالمدينة من جميع جهاتها، ويمنع أهل الفساد والأذى من دخولها، وقد استغرق العمل في البناء سبع سنوات ونصف.
- إنشاء محطَّة اللاسلكي في أوائل عام ١٣١٨هـ. (ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان ص ٣٩)
- إنشاء السكّة الحديديّة في منتصف عام ١٣٢٥هـ، واكتملت في أوائل عام ١٣٢٦هـ. (فصول من تاريخ المدينة، ص ١١٦)
- تأسيس أوّل صحيفة في المدينة واسمها (المدينة المنوّرة). الرحلة الحجازيّة، للبتوني ص (٢٥٥)

ومن الأعمال التي أجريت في المسجد النبوي الشريف:

- تشييد محراب القبلة وتطعيمه بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب، وتجديد القبة، وذلك سنة ٩٨٠هـ في أيام السلطان سليم الثاني، ثم جدد السلطان محمود الثاني القبة سنة ١٢٣٣هـ.
- وفي عهد السلطان عبد المجيد أضيفت إلى المسجد أقسام جديدة، وشيدت القباب ذات النوافذ المحاطة بشبابيك من النحاس والحديد، إلى جانب المئذنة المجيدية، والكتابات والنقوش التي لاتزال ماثلة للعيان حتى اليوم.
- إعادة بناء المسجد النبوي من جديد واستمرّ البناء اثني عشر عامًا بدءًا من عام ١٢٦٥هـ، وكان هذا البناء من أضخم العمارات التي جرت في مسجد رسول الله ﷺ حتى ذلك الوقت.

ثامنًا: العهد السعودي بدءًا من ١٣٤٤هـ:

في عام ١٣٤٤هـ توجه الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله إلى المدينة المنورة ومعه حاشيته وجنوده، فاستقبله جمع من أهل المدينة وأعلنوا ولاءهم له ولوالده الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وتوجه الركب إلى المسجد النبوي الشريف حيث صلَّوا فيه، ثم سلموا على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، ثم توجهوا إلى مقر الإمارة، وبدأ الأمير يستقبل الأهالي ويسمع منهم ويحاورهم.

وقد شهدت المدينة في العصر السعودي تطورات شتى في جوانبها الإدارية والعمرانية والاقتصادية والثقافية، فمن ذلك:

- في عام ١٣٤٦هـ بدأت شركة الكهرباء توسيع خدماتها إلى الشوارع الرئيسة والمخازن وبعض البيوت بعد أن كانت مقتصرة على الحرم وساحاته.
- نشطت الحركة الثقافية في هذه المدَّة، وسار التعليم في المدينة المنوَّرة بجناحين متوازيين: الأوَّل تقيمه الدولة، والثَّاني يقيمه بعض الأهالي، وهو أشبه بمؤسَّسات خيريَّة، فضلًا عن حلقات الدِّراسة في المسجد النبويّ الذي نُظِّم بقرار من الملك عبد العزيز، وعُيِّن مدرسوه وتوافد عليه الطلاب.
- تطورت المواصلات البرية فبدأت حركة المسافرين بالسيارات تزداد من جدَّة ومكة، ثم افتتح خط للسفر بين ينبع والمدينة يستخدمه القادمون من مصر، وفي عام ١٣٥٢هـ بدأ تعبيد الطّريق بين مكَّة والمدينة.
- شهدت المدينة المنورة زيادة ملحوظة في عدد سكانها، حيث قُدِّر في منتصف عام ٢٠١٩م بحوالي ٢,٢٣٩,٩٢٣ نسمة (الهيئة العامة للإحصاء، العدد الخامس والخمسون من الكتاب الإحصائي السنوي)، إضافة إلى أعداد

كبيرة من الزوار في المواسم الدينية، وخاصة في شهر رمضان وموسم الحج، حيث يبلغ عددهم قرابة المليون، يمكثون فيها على دفعات متتالية، أيامًا وأسابيع قليلة ثم يعودون إلى بلادهم.

وكنتيجة لكثرة السكان والزوار توسعت رقعة العمران فشملت أماكن كثيرة لم تكن معمورة إلى عهد قريب، وتبلغ مساحة الرقعة العمرانية بالمدينة في هذا الزمن ١٠٠ كيلومتر مربع تقريبًا، وهي في توسع مستمر بسبب زيادة السكان وإنشاء أحياء جديدة.

أما المسجد النبوي الشريف فقد نال في هذا العهد اهتمامًا عظيمًا تجلَّى فيما يلي:

- **التوسعة السعودية الأولى:** بدأ العمل بهذه التوسعة في عام ١٣٧٢هـ بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وقام بافتتاحها الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله عام ١٣٧٥هـ، وقد بلغت مساحة المسجد الكلية بعد التوسعة ١٦,٣٢٦ مترًا مربعًا، وصار يتسع لـ ٢٨,٠٠٠ مصلّ.

- وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، أزيلت بعض الأبنية من غرب المسجد وأقيم مكانها مصلًّى مظلَّلٌ بثمانين مظلة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المصلين في موسم الحج، وقد بلغت مساحة هذا القسم حوالي ٣٥,٠٠٠ متر مربع، وقد أزيل في أعمال التوسعة الثانية.

- **التوسعة السعودية الثانية:** في عام ١٤٠٦هـ وفي عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله بدأت أكبر توسعة في تاريخ المسجد النبوي حتى ذلك الوقت، وقد تضمنت هذه التوسعة تعمير وتحسين المسجد النبوي والمدينة المنورة بكاملها، وبانتهاء أعمال هذه التوسعة

عام ١٤١٤هـ أصبحت المساحة الإجمالية للمسجد النبوي الشريف حوالي ٩٨,٥٠٠ متر مربع، تستوعب ١٧٨,٠٠٠ مصلٍّ، كما غُطِّيَ سطح التوسعة المقدرة مساحته بـ ٦٧ ألف متر مربع بالرخام ليستوعب ٩٠ ألف مصلٍّ، وبذلك يكون استيعاب المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة ٢٦٨ ألف مصلٍّ ضمن مساحة إجمالية بلغت حوالي ١٦٥,٥٠٠ متر مربع.

- واشتمل المشروع كذلك على إحاطة المسجد النبوي الشريف بساحات غُطِّيت أرضيتها بالرخام والجرانيت، وفق أشكال هندسية بطُرز إسلامية متعددة جميلة، خُصِّص منها ١٣٥ ألف متر مربع للصلاة، تستوعب ٢٥٠ ألف مصلٍّ، ويمكن أن يزيد عدد المصلين إلى ٤٠٠ ألف مصلٍّ في حالة استخدام كامل مساحة الساحات المحيطة بالمسجد النبوي الشريف، مما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد والساحات المحيطة به تزيد عن ٦٥٠ ألف مصلٍّ، لتصل إلى مليون مصلٍّ في أوقات الذروة.
- تميزت هذه التوسعة بإضافة ٦ مآذن جديدة، ليصبح مجموع عددها ١٠ مآذن، وأصبح عدد أبواب الحرم ٨١ بابًا، كما تم تركيب ١٨ سلمًا تؤدي إلى سطح المسجد، وزُوِّد المسجد بـ ٢٧ قبة متحركة لها خاصية الانزلاق، وزُوِّد بمولدات كهربائية ومحطة ضخمة لتبريد الجو وتكييفه.
- **التوسعة السعودية الثالثة:** في عام ١٤٣٣هـ وبأمر من الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله، وُضِع حجر الأساس لأكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف على مدى التاريخ، لتصل طاقة المسجد النبوي الاستيعابية بموجبها إلى مليوني مصلٍّ مع نهاية أعمال المشروع بمشيئة الله تعالى.

فائدة

من دلائل النبوة: توسع المدينة بعد النبي ﷺ

أشار النبي ﷺ إلى توسع المدينة بعده، فقال: «تبلغ المساكن إهاب» (مسلم: ٢٩٠٣) ، وإهاب اسم موضع خارج المدينة، ما يعني أن المدينة ستتوسع حتى تصل مساكنها إلى ذلك الموضع، وقد ذكر القرطبي أن العمران وصل إلى «إهاب» زمن الدولة الأموية. (المفهم ٢٤٣/٧)

وكان من أهم أسباب توسع المدينة زيادة السكان، وحاجتهم إلى بيوت يسكنون فيها ومرافق تخدمهم، فقد بلغ عدد سكان المدينة المنورة في آخر زمن قبل الإسلام ما بين ١٢ إلى ١٥ ألف نسمة، ولما هاجر المسلمون الأوائل من مكة إلى المدينة تغيرت المعادلة السكانية، ثم ما زال يهاجر بعض من أسلم إلى المدينة حتى فتحت مكة، وقد بلغ عدد سكان المدينة وقت وفاة النبي ﷺ حوالي ثلاثين ألف نسمة.

أحداث تاريخية
مرتبطة بالمدينة

مرت بالمدينة عبر تاريخها الطويل في الإسلام كثير من الأحداث المهمة التي نقلتها لنا كتب السيرة والتاريخ..

غزوة أحد:

تلقى المشركون في غزوة بدر الكبرى هزيمة منكرة؛ فقد قُتِل كبراؤهم وصناديدهم، رغم أنهم كانوا أكثر عددًا وعدة من المسلمين، واهتزت مكانتهم بين العرب، لا سيما أنها كانت أول وقعة بين الطرفين، فأرادوا الهجوم على المدينة في السنة الثالثة من الهجرة ثأرًا لهزيمتهم في بدر واستردادًا لمكانتهم، فخرجوا في ٣٠٠٠ مقاتل، وخرج إليهم المسلمون في ٧٠٠ مقاتل عسكروا بجانب جبل أُحُد لاستراتيجية المكان.

وضع النبي ﷺ خطة محكمة للقتال، حيث جعل خمسين من رماة السهام على جبل الرماة، وأمرهم بالتصدي لكفار قريش لو هاجموا المسلمين من الخلف، وأمرهم بأمر مشدد ألا ينزلوا من فوق الجبل مهما حصل، حتى يأذن لهم النبي ﷺ بالنزول، قال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير؛ فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم». (البخاري ٣٠٣٩)

بدأت المعركة حامية الوطيس، وكانت الغلبة في أولها للمسلمين، ففرَّ المشركون وبدأ المسلمون في جمع الغنائم التي تركوها خلفهم، فلما رأى الرماة رضي الله عنهم تراجع الكفار وتقهقرهم ظنوا أنهم قد هُزموا وانتهت المعركة، فنزل كثير منهم لجمع الغنائم، وخالفوا أمر النبي ﷺ ولم يثبتوا في مكانهم، مما مكّن فرسان المشركين من الالتفاف حول المسلمين ومهاجمتهم من الخلف، فقتلوا كثيرًا من المسلمين، وكادوا أن يصلوا إلى النبي ﷺ، لولا أن الله حفظه بثبات بعض الصحابة حوله.

فائدة

من دروس غزوة أحد

لقد جعل الانتصار في «الحرب المستحيلة» في غزوة بدر بعض الصحابة يعتقدون أن الله سوف ينصرهم على الكافرين في كل المواطن، وأن النصر سيكون حليفهم دومًا لأنهم صالحون وفيهم رسول الله ﷺ، وعدوهم كافر مشرك.

فجاء درس أُحُد ليبين لهم أن الأمور لا تسير بهذه الطريقة، فعلى الرغم من أن النصر من عند الله، إلا أنَّ للنصر أسبابه التي ينبغي الأخذ بها؛ من إعداد العدة، والتخطيط الجيد، والسمع والطاعة للقائد، وعدم التطلع للمكاسب الدنيوية.

ونزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ (مقتل سبعين من المسلمين) قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا (قتل المسلمين لسبعين وأسرهم لسبعين من المشركين يوم بدر) قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا (من أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء، وعدوُنا أهل كفر بالله وشرك؟) قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ (بمخالفتكم أمر النبي ﷺ والنزول من الجبل) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥). (ينظر تفسير الطبري ٧/ ٣٧١)

غزوة الخندق (الأحزاب):

كانت غزوة الخندق -أو غزوة الأحزاب- غزوة فارقة في حياة الأمة الإسلامية، وغزوة محورية في بناء الكيان الإسلامي الراسخ؛ فالوضع قبل الأحزاب، وأثناء الأحزاب كان في غاية الخطورة وعدم الاستقرار، وبانتهاء غزوة الأحزاب استقر الوضع في المدينة المنورة، وما عادت تخاف من أي تهديد، وما فكر أعداء الله في غزوها بعد ذلك، بل كانت الجيوش الإسلامية تخرج منها إلى كل مكان؛ في الجزيرة العربية وخارج الجزيرة.

كان النبي ﷺ قد أخرج يهود بني النضير من المدينة بعد أن نقضوا العهد معه؛ فراحوا يحرِّضون قريشًا وغيرها من قبائل الجزيرة العربية على غزو المسلمين في عقر دارهم في المدينة، والقضاء عليهم ومحوهم من الوجود؛ فاجتمع في شوال من السنة الخامسة للهجرة ١٠ آلاف مقاتل من شتَّى القبائل، سُمُّوا بالأحزاب، وعزموا على غزو المدينة.

علم النبي ﷺ بأمر الأحزاب، فعقد مجلس شورى للبحث عن حل لهذه المعضلة، فأخبره سلمان الفارسي رضي الله عنه بما كان يفعله الفرس إذا غزاهم الأعداء، وهو حفر خندق حول المدينة يمنع وصولهم إليها. استحسن النبي ﷺ وأصحابه الفكرة، وبدؤوا بالعمل المضني لحفر خندق في الجهة الشمالية من المدينة؛ لأنها الجهة الصالحة لسير الجيش ودخول المدينة منه، فحفروه في زمن قياسي يقدر بأسبوعين، فلما وصل المشركون إلى الخندق لم يستطيعوا مجاوزته، واستمات المسلمون في الدفاع عن مدينتهم والمرابطة بجوار الخندق حتى لا يجد المشركون ثغرة أو طريقة لدخولها، وحدثت مناوشات ورمي بالسهام وحرب إعلامية ومبارزات بين الطرفين، وانتهت بعد ثلاثة أسابيع بأن تفرَّق المشركون إلى ديارهم؛ لعدم تحملهم انخفاض درجة حرارة الجو، ولاشتداد الرياح الباردة المؤلمة التي أرسلها الله عليهم.

انتصر المسلمون في هذه المعركة، وكُسِرت شوكة المشركين، ومال ميزان القوى لصالح المسلمين، وبدأت مرحلة يبادرون فيها بمهاجمة أعدائهم، بعد أن كانوا سابقًا في موضع دفاع فحسب.

فائدة — الاستفادة من الثقافات الأخرى في الأمور الدنيوية

لم يمنع النبي ﷺ من نقل خبرات الفرس -وكانوا مجوسًا في عهده- والاستفادة منها، بل طبَّق ما أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ فالحكمة ضالة المؤمن، وليس الإسلام منغلقًا عن الاستفادة من العلوم الدنيوية النافعة في شتى المجالات، وقد سار المسلمون على ذلك، فأخذوا من علوم الأمم النافعة، وأضافوا إليها وطوروها، وظهر منهم نوابغ العلماء في العلوم التطبيقية، فاكتشفوا ما لم يكتشفه السابقون، وما زال أثرهم في العلوم باقيًا إلى الآن.

موت النبي ﷺ:

في أواخر صفر أو أوائل ربيع الأول من عام ١١هـ بدأ بالنبي ﷺ الوجع والحُمَّى، فاستأذن نساءه أن يُمَرَّض في بيت عائشة رضي الله عنهن جميعًا، فأذِنّ له. وفي آخر مرة صعد فيها المنبر، أوصى أن يُحسِن الولاةُ بعده إلى الأنصار، ولما اشتد به المرض قال: مُرُوا أبا بكر، فليصلِّ بالناس. ثم تُوفي ﷺ في ضُحى يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١١هـ، وكان عليه السلام في الثالثة والستين من عمره.

أصاب المسلمين حزن عظيم وصدمة هائلة لموت النبي ﷺ؛ فعمر رضي الله عنه لم يصدق، وراح يكلم الناس ويتوعَّد من يقول ذلك، إلى أن جاء أبو بكر رضي الله عنه فدخل حجرة ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقبَّل النبي ﷺ وبكى، ثم خرج إلى الناس وخطب خطبته الشهيرة التي قال فيها: «أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤) إلى قوله ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها»، وقال عمر: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات». (البخاري ٤٤٥٢)

وبموت النبي ﷺ انقطع وحي السماء والنور المبين، فحُقَّ للمدينة وأهلها أن يحزنوا على فراقه وأن يشعروا وكأن الدنيا قد أظلمت، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء». (سنن الترمذي ٣٦١٨)

تولي عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة:

في عام ٨٧ هـ ولَّى الخليفة الأموي الوليدُ بن عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز إمارة المدينة؛ فلما قدمها واليًا، نزل دار مروان، وجعل يدخل عليه الناس فيُسَلِّمون، فلما صلَّى الظهر دعا عشرة من كبار فقهاء المدينة، فقال لهم: إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانًا على الحق؛ لا أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدَّى، أو بلغكم عن عامل لي ظلم، فأُحَرِّج على من بلغه ذلك إلا بلَّغَني! فخرجوا يدعون له بالخير. وكانت إمارته عليها أربع سنين، رحمه الله تعالى.

بركان المدينة الكبير:

في سنة ٦٥٤هـ ثار بركان حرَّة رهط القريبة من المدينة ثورانًا عظيمًا، وارتفعت الحمم البركانية إلى ارتفاعات عالية وسالت في الوادي مسافة طويلة، وقد ذكر بعض العلماء أن ذلك هو ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى». (البخاري ٧١١٨)

وقد دونت كتب التاريخ شهادات من رأى ثورة هذا البركان في حينها، فمن ذلك ما نقله أبو شامة رحمه الله من الكتب الذي وصفت الحدث: «لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمئة، ظهر بالمدينة النبوية دوي عظيم، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة، إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحَرَّة قريبة من قريظة، نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانًا، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي، فسارت إلى أن وصلت إلى الحَرَّة فوقفت بعدما أشفقنا أن تجيء إلينا، ورجعت تسيل في الشرق، فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ (المرسلات: ٣٢-٣٣)، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمئة والنار في زيادة ما تغيرت، وقد عادت إلى الحرار في قريظة، طريق عِير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل، نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج.

وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك، والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أصف هذه النار». (ينظر: البداية والنهاية ١٣/ ١٨٧-١٨٨)

حريق المسجد النبوي عام ٦٥٤هـ:

وقع هذا الحريق في عام البركان نفسه، ليلة الجمعة الأول من رمضان سنة ٦٥٤هـ، في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله، وفي المدة التي سبقت سقوط الدولة العباسية على يد التتار، ويعود سببه إلى فتيل نار نسيه أحد خُدّام المسجد في المخزن بعد أن فرغ المصلون من صلاة التراويح، فعلقت النار بقطعة كتان فاشتعلت، وامتدت النار إلى الحُصُر والبُسُط والقصب الذي في المخزن، ثم امتدت إلى القناديل المملوءة بالزيت، وتزايد اللهب ووصل السقف، وصل الخبر إلى الأمير فهرع مع رجاله، واجتمع غالب أهل المدينة يحاولون عبثًا إخماد النار التي أمسكت بسقف المسجد وما فيه من حصر، وماهي إلا ساعة حتى أتت على جميع المسجد وما فيه؛ من المنبر الشريف، والأبواب، والخزائن، والشبابيك، وكسوة الحجرة -وكان عليها إحدى عشرة ستارة- والمقاصير، والصناديق وما فيها من كتب، وبقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل، إذا هبت الرياح تتمايل، ولم يسلم من هذه النار إلا قبة بناها الناصر لدين الله سنة ست وسبعين وخمس مئة وسط المسجد الشريف لحفظ ذخائر الحرم،

مثل المصحف العثماني وبعض المقتنيات، وكتب بذلك للخليفة المستعصم باللّه أبي أحمد عبد اللّه بن المستنصر باللّه في شهر رمضان، فوصلت الآلات صحبة الصُّنَّاع مع ركب العراق في الموسم، وابتُدِئَ بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمئة. (ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٥٠-١٥٢)، المغانم المطابة في معالم طابة (١/ ٤٠٣-٤٠٦)، عمدة الأخبار في مدينة المختار (ص: ١٢١-١٢٢)، المسجد النبوي عبر التاريخ (ص: ١٤١-١٤٢)، المدينة المنورة في عهد الزنكيين الأيوبيين والمماليك (ص: ٩٠))

حريق المسجد النبوي عام ٨٨٦هـ:

في سنة ٨٨٦هـ حصل الحريق الثاني للمسجد، وذلك أنه في ليلة من ليالي رمضان حصل رعد قاصف، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المئذنة، فسقط الهلال في المسجد وله لهب مثل النار وانتشر الحريق في المسجد، ونودي في المدينة بالحريق، فاجتمع أمير المدينة وأهلها بالمسجد الشريف، وصعد أهل النجدة بالمياه لإطفاء النار وقد أخذت تلتهب سريعًا، فعجز الناس عن إطفائها، وكلما حاولوا ذلك لم تزدد إلا اشتعالاً، ثم أصبح المسجد كالتنور العظيم، ولم يسلم غير القبة التي على القبور الشريفة والقبة التي بصحن المسجد.

وبعد ثلاثة أيام من الحريق تم الاتصال بالسلطان الأشرف قايتباي وإخباره بما حصل للمسجد الشريف، فكان وقع ذلك عليه عظيمًا، فأصدر أوامره بعمل الاستعدادات اللازمة لإعادة إعمار المسجد، وتم بناؤه عام ٨٨٨هـ. (ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٧٥-١٨٤)، المسجد النبوي عبر التاريخ (ص: ١٤٣-١٤٧)

حصار المدينة أثناء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٤هـ-١٩١٦م):

وقفت الدولةُ العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور، بينما أعلن الشريف حسين الثورةَ على الدولة العثمانية ووقف إلى جانب دول الحلفاء، وتمكنت قواتُ الشريف حسين مدعومةً من قوات الحلفاء -وخاصة بريطانيا- من السيطرة على معظم بلاد الحجاز عدا المدينة، التي حوصرت حصارًا من أطول الحصارات في التاريخ؛ حيث استمَرَّ الحصار لمدة سنتين وسبعة أشهر، وكان والي المدينة للعثمانيين يومها فخري باشا، وكان معه جيشٌ مجهَّز بالأسلحة الخفيفة والمدفعيَّة التقليدية، وأثناء حصار المدينة هجَّر فخري باشا معظم أهالي المدينة المنورة، فلحق بعضُهم بالبدو حول المدينة، أو بمدن حجازية كمكة وجدة وينبع، ومنهم من ارتحل إلى حائل، بينما لحِقَ غيرهم بمصر والشام والعراق وتركيا والهند واليمن، واستمَرَّ فخري باشا في المقاومة مدة، إلا أنه اضطر بعدها للاستسلام، وبعد استسلام الحامية العثمانية في المدينة لقوات الأشراف، عاد بعضُ من هُجِّروا من أهل المدينة إليها، في حين أن بعضَهم فُقِد أو مات في دار هجرتِه، أو فضَّل البقاء هناك، أو عجز عن العودة إلى المدينة.

المدينة في آخر الزمان:

في آخر الزمان وعند قرب قيام الساعة، تحدث على الأرض أحداث عظام، وللمدينة من هذه الأحداث نصيب، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرِج اللّهُ كل كافر ومنافق» (البخاري ١٨٨١، ومسلم ٢٩٤٣)، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «آخر قرية في الإسلام خرابًا المدينة» (ابن حبان ٦٧٧٦)، وقوله: «عُمران بيت المقدس خراب يثربَ» (سنن أبي داود ٤٢٩٤)، وقوله: «يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي» يريد عوافي السباع والطير. (البخاري ١٨٧٤، ومسلم ١٣٨٩).

ومن خلال شروح العلماء يتبين أن المدينة -حرسها الله- ستبقى عامرة إلى وقت خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وأنَّ الله عز وجلَّ سيعصمها من فتنة الدجال، ثم تخلو بعد ذلك من ساكنيها؛ فتصبح غير محمية ولا ممتنعة فتنتابها السباع والوحوش والطير.

أعلام سكنوا المدينة

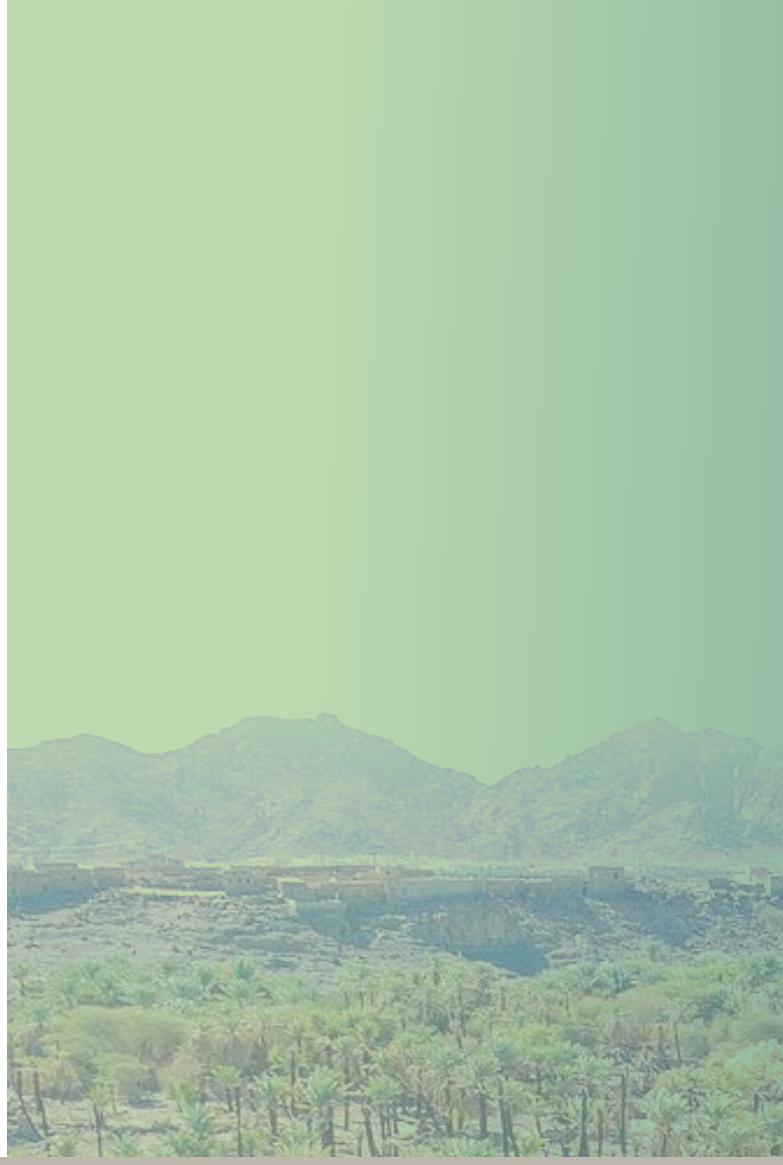

منذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة صارت دارًا يغشاها جمعٌ ممن دخلوا في دين الله تعالى من شتى بقاع الجزيرة، وقد أصبحت على مدى التاريخ الإسلامي البقعة المباركة التي عاش بها ودفن في أرضها أكابر الصحابة والتابعين ولفيف من علماء الأمة ورموزها، ومن هؤلاء..

راوية الإسلام: أبو هريرة ﷺ:

هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان حريصًا على العلم وحفظ حديث النبي ﷺ، فمع أنه لم يصحب الرسول أكثر من ٤ سنوات -هي المدة بين قدومه المدينة وموت النبي ﷺ- إلا أنه أكثرُ من روى أحاديثَه من الصحابة.

وقد استنكر بعض من لا يعرف قصته كثرة تحديثه، فقال ﷺ: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث! والله الموعد. ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون». (البخاري ٢٣٥٠)

وقد دافع عنه الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله ﷺ، فقال: «والله ما نشك أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، إنا كنا أقوامًا أغنياء ولنا بيوتات وأهلون، وكنا نأتي رسول الله ﷺ في طرفي النهار، وكان مسكينًا لا مال له ولا أهل، إنما كانت يده مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم نجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل». (البزار ٩٣٢)

سيد الأوس: سعد بن معاذ ﷺ:

أسلم سعد ﷺ وعمره ٣١ سنة، واستشهد وعمره ٣٧ سنة، ومع صغر عمره نسبيًّا إلا أنه كان زعيم قومه من الأوس في الجاهلية، عظيم المنزلة في الإسلام، وكانت قصة إسلامه عجيبة؛ فقد انطلق وبيده حربة إلى مجلس فيه أسعد بن زرارة، ومصعب بن عمير ﷺ لينكر على مصعب -الذي أرسله النبي ﷺ إلى المدينة ليدعو إلى الإسلام، وليُعَلِّم من أسلم من الأنصار قبل الهجرة- دعوة الناس للإسلام، فقال له مصعب: أَوَتَقْعُد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟

قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن.

قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتَطَهَّر وتُطَهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير -وكان قد أسلم قبله بقليل كما أسلم سعد- فلما رآه قومه مقبلًا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله. فأسلم جميع بنو عبد الأشهل. (سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٧)

ليث المعارك: أبو دجانة الأنصاري ﷺ:

أبو دجانة هو سماك بن خرشة، أسلم مبكرًا مع مَن أسلم مِن قومه مِن الخزرج، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، وشهد معركة بدر مع رسول الله.

قال الزبير بن العوام ﷺ: عرض رسول الله ﷺ سيفًا يوم أحد فقال: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟"، فقمت فقلت: أنا يا رسول الله. فأعرض عني، ثم قال: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟"، فقلت: أنا يا رسول الله. فأعرض عني، ثم قال: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟"، فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فما حقه؟ قال: "ألا تقتل به مسلمًا، ولا تفر به عن كافر"، قال: فدفعه إليه. وكان إذا كان أراد القتال أعلم بعصابة، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصبها برأسه، فجعل يتبختر بين الصفين، فقال الرسول ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: "إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن".

قال الزبير: قلت: لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع. قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه، حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف (ينشدن لتشجيع الكفار على القتال)، فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها، ثم كفَّ عنها، فلما انكشف له القتال، قلت له: كل عملك قد رأيت، ما خلا رفعك السيف على المرأة لم تضربها! قال: إني والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة!

شاهد بني إسرائيل: عبد الله بن سلَام ﷺ:

عبد الله بن سلام بن الحارث، من ذرية يوسف النبي عليه السّلام، وهو من اليهود القلائل الذين أسلموا، وكان حَبْرًا (عالِمًا) من أحبارهم، وله قصة عجيبة مع اليهود؛ فقد بلغه قدوم النبي ﷺ إلى المدينة فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال ﷺ: "أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد" قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: "أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟" قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: "أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟" قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، فقال عبد الله بن سلام: هذا كنت أخاف يا رسول الله. (البخاري: ٣٩٣٨)

وفيه ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠).

امرأة بألف رجل
أم عمارة: نسيبة بنت كعب الأنصارية ﵂:

صحابية اشتهرت بالشجاعة، تعد من أبطال المعارك، لما ظهر الإسلام أسلمت وشهدت بيعة العقبة وأُحُدًا والحديبية وخيبر وعُمرة القَضِيَّة وحُنَينًا، وسمعت من رسول الله ﷺ أحاديث. وكانت تخرج إلى القتال، فتسقي الجرحى وتقاتل. وأبلت يوم أُحُدٍ بلاءً حسنًا، وجُرِحت اثني عشر جرحًا، بين طعنة رمح وضربة سيف، وكانت ممن ثبت مع رسول الله حين تراجع الناس، وقد رؤيت في ذلك اليوم تقاتل أشد القتال، وأمها معها تعصب جرحها، وكان رسول الله إذا حدَّث عن يوم أُحُد وذكر أم عمارة يقول: "ما التفتُّ يمينًا ولا شمالًا إلا رأيتها تقاتل دوني". وحضرت حرب اليمامة، فقاتلت قتال الأبطال، وقُطِعت يدُها وجُرحت، فانصرفت إلى المدينة تداوي جراحها، فكان أبو بكر وهو خليفة يعودها ويسأل عن حالها. (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٤٤١).

من أهل الجنة!
عمرو بن ثابت الأنصاري ﵁:

ويقال له الأصيرم، كان الوحيد من بني عبد الأشهل الذي تأخر إسلامه، فلما كان يوم أُحُد وخرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد بدا له الإسلام فأسلم! فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم، فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، وما جاء! لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء بك يا عمرو، أحدبًا على قومك، أو رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. قال: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: "إنه لمن أهل الجنة" (رواه أحمد ٢٣٦٣٤)، دخل الجنة ولم يصل صلاة واحدة!

التقية الصالحة
أم عمارة بنت سفيان الثقفية رحمها الله:

من النساء اللاتي لا تعرف سيرتهن، لكنها اشتهرت بموقف واحد عظيم، ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ كان يتفقد أحوال المدينة ذات ليلة، فتعب فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: قومي وامزجي اللبن بالماء (لتكثيره ثم بيعه)، فقالت البنت: لا تفعلي، فإن أمير المؤمنين عمر نهى عن ذلك. قالت: ومن أين يدري؟ قالت: والله ما كنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخلاء، إن كان عمر لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا. فلما أصبح عمر قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا، فإنّ هناك صبية، فإن لم تكن مشغولة فتزوّج بها، فلعل الله يرزقك منها نسمة مباركة، فتزوّج عاصم بتلك البنية، فولدت له بنتًا، فتزوّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز، الخليفة المشهور. (ينظر: تاريخ دمشق ٧٠/ ٢٥١-٢٥٥)

سيد التابعين
سعيد بن الْمُسَيِّب رحمه الله:

علم من أعلام المدينة المنورة، ومن كبار فقهاء التابعين، لُقِّب بـ"عالم أهل المدينة"، و"فقيه الفقهاء"، و"سيد التابعين"، عايش الصحابة رضوان الله عليهم، وأخذ عنهم العلم والخُلُق، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، عاش حياته كلها للعبادة، وطلب العلم، حتى صار فقيهًا عظيمًا، لدرجة أنه كان يفتي والصحابة أحياء، وهو أحد رواة الحديث النبوي، كان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه، وكان ممن برز في العلم والعمل.

وكان من زهده في الدنيا أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان خطب ابنة سعيد لابنه الوليد، فأبى أن يزوجه، ثم زوجها لأحد طلابه على مهر درهمين أو ثلاثة!

ذلك أن زوجة تلميذه كَثير بن المطلب بن أبي وداعة توفيت فغاب عن درس سعيد أيامًا، فلما جاء بعدها قال له سعيد: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا، فشهدناها.

ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ قال كثير: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

قال: أنا. فقال: وتفعل؟ قال: نعم.

ثم تحمد، وصلى على النبي ﷺ وزوجه على درهمين - أو ثلاثة- فقام كثير، وما يدري ما يصنع من الفرح.

قال: فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق زوج.

الإمام العَلَم
محمد بن شهاب الزُّهْرِي رحمه الله:

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر القرشي الزهري المدني، نزيل الشام، ولد في المدينة النبوية في حدود سنة ٥٠هـ، ونشأ والعلماء فيها متوافرون ممن بقي من الصحابة، ومن التابعين الكبار، فكابد وزاحم وجالد في طلب العلم، وكان يميزه قوة الحافظة والذهن المتقد؛ فقد ذكروا عنه أنه حفظ القرآن في نحو من ثمانية وثمانين يومًا.

ومع قوة حفظه كان حريصًا على تدوين العلم وكتابته، حتى صار من أعلم الناس في زمانه، واحتاج أهل عصره إليه؛ يقول صالح بن كيسان: "كنت أطلب العلم أنا والزهري، فقال: تعال نكتب السُّنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب ولم نكتب، فأنجح وضيَّعت". عُرِف الزهري بالحفظ والإتقان وحُسن سَوق النصوص؛ فكثُر طلابه والآخذون عنه. يقول عن نفسه: "ما اسْتَوْدَعْتُ قلبي شيئًا قط فنسيتُه"، ويقول أيضًا: "ما استعدت حديثًا قط، وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا، فسألت صاحبي، فإذا هو كما حفظت"، واشتهر بقوة حفظه حتى أثنى عليه معاصروه من الأئمة بذلك، قال عمر بن عبدالعزيز: "ما ساق الحديثَ أحدٌ مثل الزهري"، وقال عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدًا أنص للحديث من الزهري".

وقد كان له السبق في تدوين الحديث رسميًّا بأمر الخليفة، قال العراقي: "وأول من دوَّن الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المئة الثانية، بأمر عمر بن عبد العزيز، وبعث به إلى كل أرض له عليها سلطان".

كان رحمه الله واسع الاطلاع غزير المادة، متعدد المعارف ومتنوع العلوم، قال الليث: "ما رأيت عالِمًا قط أجمع من ابن شهاب، ولو سمعتَه يحدِّثُ في الترغيب والترهيب، لقلت: ما يُحْسِنُ غير هذا، وإنْ حَدَّثَ عن الأنبياء وأهل الكتاب، قلت: لا يُحسن إلا هذا، وإنْ حَدَّثَ عن الأعراب والأنساب، قلت: لا يُحسن إلا هذا، وإنْ حَدَّث عن القرآن والسنة، كان حديثه بدعًا جامعًا"، وقال سفيان: "كان الزهري أعلم أهل المدينة"، توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٢٤هـ. (ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦- ٣٤٤)

إمام أهل المغازي والسير
محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله:

ولد ابن إسحاق بالمدينة سنة ٨٠هـ، وكان والده مشغوفًا بحفظ الأحاديث وجمعها، فبدأ ابن إسحاق حياته العلميّة بحفظ الحديث وروايته في سنّ مبكّرة من عمره، حيث أدرك عددًا من الصحابة رضوان الله عليهم، وطلب العلم على معظم من رأى من علماء المدينة، حتى بلغ عدد الذين روى عنهم فيها نحوًا من مئة راوٍ، ثمّ أضاف لحفظ الأحاديث علومًا أخرى كالفقه ونحوه.

سافر ابن إسحاق وطلب العلم في كثير من حواضر الإسلام، فارتحل إلى مصر والعراق، وهناك ذاع صيته واتّصل به الأمراء والولاة، وفي الحيرة عزى إليه الخليفة المنصور أن يكتب لابنه المهدي كتابه المعروف بسيرة ابن إسحاق، ثم انتقل إلى بغداد وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٥١هـ على الراجح.

قال الذهبي رحمه الله: "هو أول من دوَّن العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرًا عَجَّاجًا"، وقال فيه أبو زرعة الدمشقي رحمه الله: "محمد بن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه"، وقال علي بن المديني رحمه الله: "مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة، فذكرهم ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر: أحدهم محمد بن إسحاق"، وكان الإمام الزهري ينصح به تلاميذه في مجال السير والمغازي، وكان يقول: "لا يزال بالمدينة علمٌ جمٌّ ما دام فيهم ابن إسحاق". (ينظر: سير أعلام النبلاء ٧/٣٣-٥٥)

شيخ الإمام مالك
ربيعة الرأي رحمه الله:

ربيعة بن فرّوخ، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرًا بالرأي -وهو القياس الفقهي- فلُقِّب (ربيعة الرأي)، وكان من الأجواد؛ أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار.

خرج أبوه "فروخ" إلى خراسان أيام بني أمية غازيًا -وربيعة حَمْلٌ في بطن أمه- وترك عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، ولم يرجع إلا بعد سبع وعشرين سنة، فدفع باب بيته برمحه ليدخل، فخرج ربيعة، فقال: يا عدو الله! أتهجم على منزلي؟

وقال فروخ: يا عدو الله! أتعتدي على حرمة بيتي؟

فتصايحا وتشاجرا حتى اجتمع الجيران، وجاء مالك بن أنس والمشيخة يعينون ربيعة، فقال مالك: أيها الشيخ! لك سَعَة في غير هذه الدار.

فقال الشيخ: هي داري، أنا فروخ مولى بني فلان.

فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي تركني وأنا حامل به.

فاعتنقا جميعًا، وبكيا.

ولما سأل فروخ زوجه أن تخرج المال قالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام.

خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي اللهبي، والمساحقي، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به.

فقالت أم ربيعة لزوجها: اخرج صلِّ في مسجد الرسول ﷺ.

فخرج فصلَّى، فنظر إلى حلقة ربيعة وافرة فأتاها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، فشك فيه، فقال: من هذا الرجل؟

قالوا له: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

فقال: لقد رفع الله ابني.

فرجع إلى منزله، فقال لزوجته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها.

فقالت: فأيما أحب إليك؛ ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه؟

قال: لا والله، بل هذا.

قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه.

قال: فو الله ما ضَيَّعْتِه. (ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٣-٩٤)

إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري المدني، شيخ الإسلام وحجة الأمة، ثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي، ولد في المدينة سنة ٩٣هـ واشتُهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتتبُّعه فيه، وكان معروفًا بالصبر والذكاء، والهيبة والوقار، والأخلاق الحسنة.

طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعة وهو شابٌّ طريٌّ، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.

قال الشافعي: إذا ذُكِر العلماء فمالك النجم، وقال: مالك معلمي، وعنه أخذت العلم.

وقال الحاكم: ضُرِبت إليه أكباد الإبل من الآفاق، واعترفوا له، وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنًّا؛ كالليث عالم أهل مصر والمغرب، وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم، والثوري وهو المقدَّم بالكوفة، وشعبة عالم أهل البصرة.

قال الذهبي: لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكًا في العلم، والفقه، والجلالة، والحفظ.

ومن فقهه وورعه رحمه الله أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور أراد أن ينسخ موطأ الإمام مالك، ويرسله إلى كل الأمصار ويلزم الناس بالعمل بما فيه، فنصحه مالك ألا يفعل، وعلل ذلك بأن الصحابة قد تفرقوا في البلاد، فأخذ أهل كل بلد العلم عمن كان عندهم من الصحابة، فيكون عند هؤلاء ما ليس عند أولئك، فلا ينبغي حمل الجميع على ما في الموطأ.

قيل لمالك: اخترت مقامك بالمدينة وتركت الريف والخصب؟!

فقال: وكيف لا أختاره وما بالمدينة طريق إلا سلك عليها رسول الله ﷺ، وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة! (ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١/ ٣٥)

من قصص المدينة

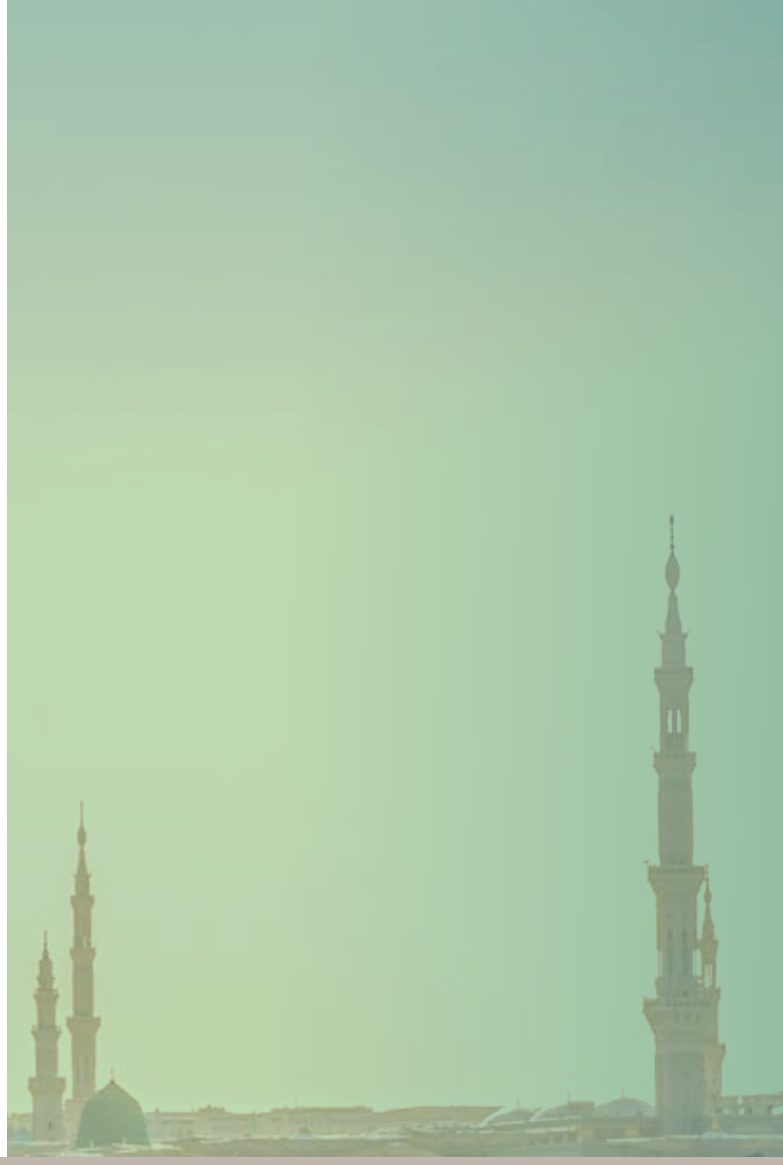

عبّر المسلمون بعد النبي ﷺ عن إجلالهم وحبهم وشوقهم إلى المدينة بطرق مختلفة، فمنهم من كان يصبر على ما يجد فيها من مشقة ويأبى الخروج عنها لأي سبب، ومنهم من رحل إليها ليسكنها حتى وفاته، ومنهم من ألَّف الأشعار والكتابات الأدبية للتعبير عن حبه لها، ومنهم من ألَّف في تاريخها ووصف معالمها ومن سكنها، إلى غير ذلك مما يدل على الحب والتعظيم لهذه المدينة العظيمة.

أبيات متوارثة قبل سبعة قرون من الإسلام:

ذكر ابن كثير (تفسير ابن كثير ٢٥٨/٧) أن تُبَّعًا الأوسط -الذي توفي قبل مبعث النبي ﷺ بنحو ٧٠٠ عام- لما ذكر له اليهود أن هذه البلدة مهاجَر النبي ﷺ، قال في ذلك شعرًا واستودعه عند أهل المدينة، فكانوا يتوارثونه خلفًا عن سلف، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه، الذي نزل رسول الله في داره، وهو:

شَهِـــدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أنَّه

رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَاري النَّسَمْ

فَلَو مُدَّ عُمْري إِلَى عُمْرِهِ

لَكُنْـت وَزيــرًا لَهُ وَابْنَ عَمْ

وَجَاهَدْتُ بالسَّيفِ أَعْدَاءَهُ

وَفرَّجتُ عَنْ صَدْرِه كُلَّ غَمْ

عبد الله بن عمر ينهى من أراد الخروج من المدينة:

أتت مولاة لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وقت حدثت فيه بعض الفتن بين المسلمين من قتال ونحوه، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان. فأنكر عليها ذلك ابن عمر رضي الله عنهما، وحثها على سكنى المدينة؛ لما فيها من الفضل، فقال: اقعدي لكاع (واللكاع تطلق على الذي لا يهتدي لكلام غيره وعلى الصغير)، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد، إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة» (مسلم ١٣٧٧)، أي: لا يصبر على الشدة والجوع فيها أحد، إلا كان الرسول ﷺ له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة.

عمر بن عبد العزيز ومشقة ترك المدينة:

كان الإمام العادل الزاهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- واليًا على المدينة النبوية من قِبَل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ثم إنَّ الخليفة طلب منه أن يخرج من المدينة ويأتيه في الشام، فشق الخروج من المدينة على عمر جدًّا، واشتد عليه فراقها كثيرًا، فالتفت إلى المدينة وبدأ يبكي وهو يقول لمولاه مزاحم: (يا مزاحم! أتخشى أن نكون ممن نفت المدينة؟). (رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا ١٥٧٥)

خوض المخاطر شوقًا إلى المدينة:

في سنة ٣٩٤هـ كان حجاج العراق عائدين من الحج إلى ديارهم، فعزم أمير القافلة على الرجوع سريعًا إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها، وألا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفًا من قُطَّاع الطرق، فشق ذلك على الناس، فوقف رجلان قارئان عند مفترق الطرق، وقرآ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ الآيات (التوبة: ١٢٠)، فضج الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية، فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم.

(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥/ ٤٤)

الإمام مالك لا يؤثر الدنيا على المدينة:

أحب إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله- المدينة والتزم سكناها، ولم يخرج منها لغير الحج، ولما حج هارون الرشيد واجتمع بالإمام مالك في المدينة قال للإمام: هل لك دار؟ فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها دارًا، فأخذها ولم ينفقها.

فلما أراد الرشيد الانصراف من المدينة، قال للإمام مالك: ينبغي أن تخرج معي؛ فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان ﷺ الناس على القرآن. فقال: أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل؛ لأن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار، فحدَّثوا، فعند أهل كل مصر علم. وأما الخروج معك فلا سبيل إليه، وأنا لا أوثر الدنيا على المدينة؛ فإن النبي ﷺ قال: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)، وهذه دنانيركم كما هي، إن شئتم فخذوها، وإن شئتم فدعوها. (ينظر: إحياء علوم الدين ٢٧/١)

خاتمة الكتاب

لم تكن المدينة المنورة مجرد مدينة؛ بل كانت مدرسة استثنائية، أخرجت للبشرية رجالًا غيروا مجرى التاريخ، وحملوا مشاعل الهدى والنور، ومقوِّمات ازدهار الأمم إلى العالم؛ ببركة المعلِّم الرسول، ﷺ.

ولما انقضى العهد الأول، لم تنقضِ قصة البذل والعطاء، والإعداد والبناء؛ فقد حمل أمانة حفظ المدينة الخلفاء والأمراء، ومِن بعدهم الملوك العظماء، فتسابقوا إلى إعمارها وحماية جنابها، جيلًا بعد جيل، والتاريخ يُكتب.

وعندما آل الحكم لآل سعود، بذلوا الغالي والنفيس، وجسَّدوا أعظم إعمار لطيبة ومسجد الرسول ﷺ، ولم يكن الإعمار يقتصر على البنيان؛ بل جمع بين إعمار المكان والإنسان، فلا يخرج الزوار من طيبة إلا وقد امتلأت قلوبهم غبطة وسرورًا، بما لمسوه من جهود جبارة في خدمة ضيوف الرحمن وقاصدي العلم والإيمان.

فها هم المؤمنون -ممن حداهم الشوق وأتَوا من كل حدب وصوب- يرون ويلمسون الجهود الكبيرة في خدمة المدينة المنورة، وفي التشييد العظيم للمسجد النبوي وتوسعته وتهيئة ساحاته، وتوفير الخدمات اللازمة التي راعت الصغير والكبير والضعيف وذوي الاحتياجات الخاصة.

وها هم يدخلون المسجد النبوي، فيشنِّفُ أسماعَهم دويٌّ كدوي النحل، من تلاوات في حِلَق القرآن الكريم، وها هم يرون حِلَقًا أخرى؛ في السنة النبوية، والعلوم الشرعية، والإفتاء، والوعظ والإرشاد، يتدارس الناس فيها النور الذي شعَّ من هذه البقعة المباركة لينير أرجاء العالم.

إنَّ ما يشهده زوار طيبة والمسجد النبوي من عطاء وبناء وإعداد؛ ما هو إلا امتداد وإكمال لمسيرة المدرسة النبوية المباركة.

ختامًا..

ليس غريبًا أبدًا أن تكون طيبة هي المدينة التي تنظر إليها العيون بشغف، وتشتاق إليها الأرواح والقلوب، وتهوي إليها النفوس؛ فهي حاضرة في قلوب المسلمين جميعًا؛ لأنها مهد الإسلام، ونواة دولته الأولى، منها بدأت ثم إلى كل العالم انطلقت، حاملة الهدى والنور والخير للبشرية جمعاء.

هذا هو قدْر طيبة، وهذا هو قدَرها!

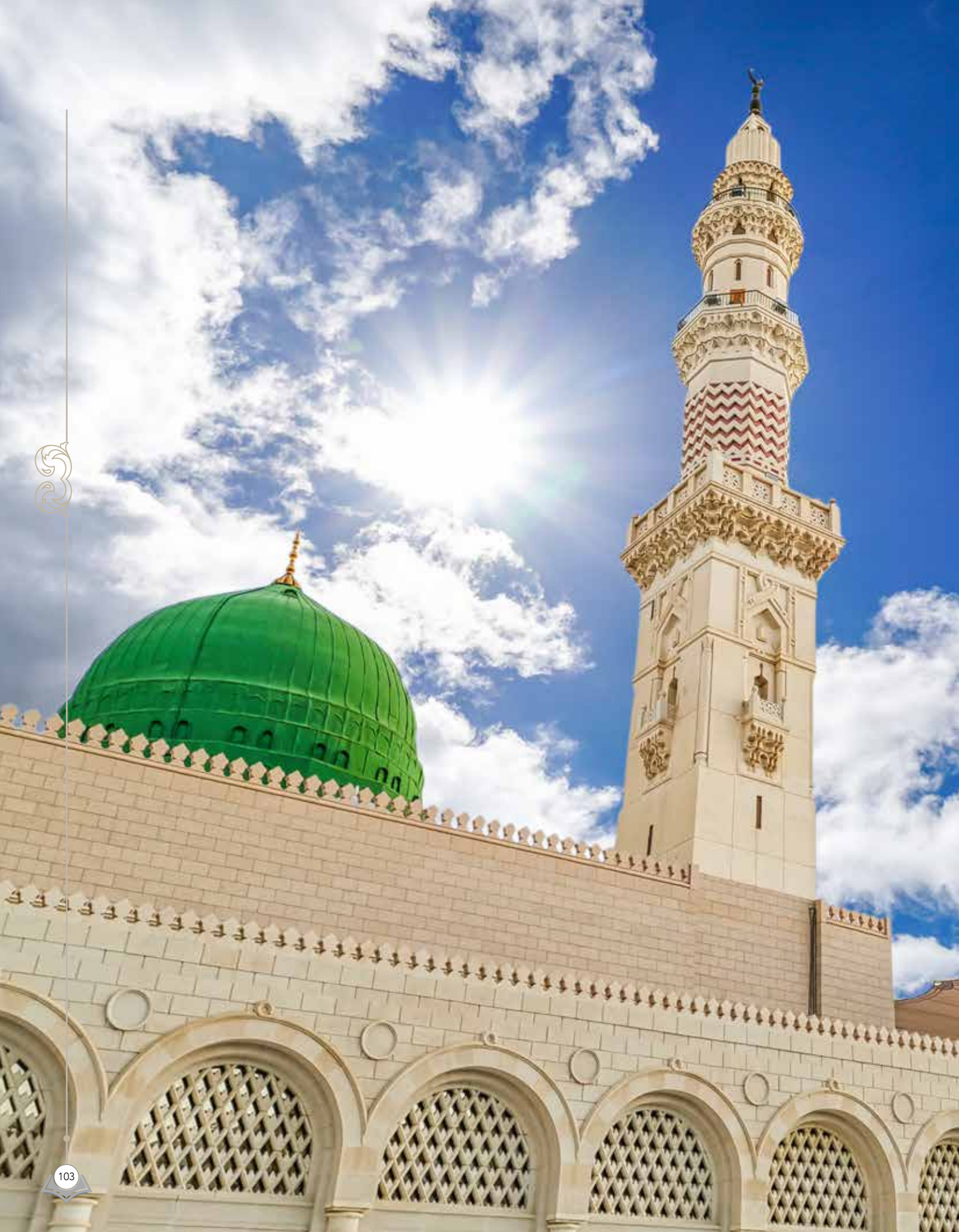

أصول
Osoul
الأفلام الدعوية

مشاهدة ممتعة

مادة فلمية من إنتاج مركز أصول

المدينة النبوية.. طَابَة

البلدُ الطيّبُ، مُهاجَرُ النبيِّ الكريم ﷺ ومُستَقَرُّه، مدينةُ الإسلامِ الأُولى، ومَأْرِزُ الإيمانِ عندَ وقوعِ الفِتَن.

على تُرابها مَشى خيرُ البَشَرِ إيمانًا وعَمَلًا وأتمُّهُمُ اتّباعًا للهُدى، وأقوَمُهُمْ بالحقّ النازلِ منْ عندِ الله... رسولُنا ﷺ وصحبُه الكِرام رضي الله عنهم.

زادَها الله طِيبًا وشَرَفا..

وطُوبَى لمن رزقهُ الله ذلكَ الجوارَ الكريم!

شاهد هذه المادة من هنا

مركز أصول
OsoulCenter